

إخترنا لك

عالم جائع

COMMON SENSE SERIES

COMMON SENSE
ABOUT
STARVING
WORLD

by

RITCHIE CALDER

لم ريتشي كالدر

ة عصمت عبد المجيد

عة حسين الحوت



اهداءات ٢٠٠١

ا.د. محمـــــد ديــــاب

جراح بالمستشفى الملكي المصري

اخترنا لك

عالم جائع

بقلم ريتشي كالدر
ترجمة عصمت عبد المجيد
مراجعة حسين الحوت

الباب الأول
العون المتبادل وأزمة الأسرة

كان اجتماعنا يضم عمال المناجم فى ساوث ويلز ، أما الموضوع الذى يجرى بحثه فى هذا الاجتماع فيتعلق « بالمعونة المتبادلة » وكيف أن الدول المتيسرة لابد أن تساهم بأموالها ومواردها وما لديها من علم ومعرفة لكى تخفف من الفقر والجوع ، تلك العوامل التى تعتبر المصير المحتوم لثلثى سكان العالم .. ومن وجهة النظر ، نجد أننا قطعنا شوطا طويلا فى هذا الميدان ، بل توغلنا فى أماكن وظروف معيشة تكاد تكون بعيدة كل البعد عن أى اتصال .

وطبقا لتجربتى الشخصية كنت أصف الحياة التى كتب على شعوب أمريكا اللاتينية وافريقية وآسيا أن تحياها ، حياة البؤس المتفشى الذى طابعه انخفاض مستوى الانتاج ، والفقر والجهل ، وسوء التغذية ، والمرض ، كما تعرضت للاجراءات التى لابد أن تتخذ للقضاء على هذه الدائرة المفرغة .

ولكن الذى دار عنه الحديث هو الجوع الذى لم يشغله أحد ، وكان هذا أول سؤال ألقى فى الاجتماع . وبرغم أنه لم يكن سؤالا بعيدا عن المنطق ، فاننى مع ذلك شعرت بالضيق دون أى مبرر ، ففى غضون ثلاثينات القرن التاسع عشر ــ ثلاثينات الجوع ــ شاهدت كثيرا من تلك المظاهر ، فالبطالة تشمل ثلاثة أرباع عدد السكان ، والغذاء لايكاد يمسك رمق الفرد ويجعله وحده متماسكة جسدا وروحا ، فضلا على أن سوء التغذية كان منتشرا بدرجة بالغة الى جانب ارتفاع نسبة الاصابة بمرض السل .

اننى لن أنسى اطلاقا وجه الفقر ، ولكن يبدو ان العامل المجرب الذى وجه هذا السؤال قد نسى شبح الفقر تماما ، أو لعله يذكره جيدا ولكنه يقف فى وجه أى خطر يتهدد مستوى المعيشة الذى استطاع عمال المناجم تحقيقه .

وهذا الجوع الذى جرى الحديث عنه وعن آثاره المفزعة طيلة أعوام الكساد ، قد كتب بأحرف كبيرة فى جميع أنحاء العالم ، وكان من المتوقع أن يعمل الشعب الذى قاسى من ويلات هذا الجوع والحرمان سنين طويلة على تحقيق مطالب الغير ، بل يستجيب لها أكثر من هؤلاء الذين يفكرون فى المشكلة من الوجهة النظرية فقط .

ان الحديث الذى دار فى اجتماعنا لا يعنى انخفاض مستوى المعيشة ، بل انه قد يعنى ان هذا المستوى ، لن يرتفع بالسرعة التى كان من الممكن أن يتحقق بها ، وان الفرد ربما لا يستطيع اقتناء جهاز تليفزيون آخر لوضعه فى حمام بيته ، ولكن مازال فى استطاعته أن يكون لديه حمام ، وهذا شيء لم يكن فى متناول يده منذ ثلاثين عاما .

وفى الواقع اننا نستطيع القول طبقا « للعبة الارقام » التى نسميها « احصائيات » وطبقا « للانتاج البريطانى » أنه اذا ساهم كل عامل بريطانى بعشرين دقيقة من وقته يوميا ، وكذلك اذا ساهم بمثل هذه الفترة جميع العمال فى البلاد المتقدمة كافة فاننا بذلك نستطيع انقاذ بقية العالم من براثن الفقر .

وأستطيع أن أعد هذا العامل بشيء واحد فقط ، وهو اننا إذا لم نفعل ذلك ، فسوف ينهار مستوى المعيشة فى بريطانيا . ان أحد الاسباب التى بعثت فى نفوس عمال بريطانيا الرضا والاطمئنان « وانه ليس فى الامكان أبدع مما كان » هو أننا كدوله مستوردة للمواد الخام كنا نرفع مستوانا على حساب تلك الدول التى نسميها « متخلفة » . لقد تدهورت أسعار السلع ، وأصبح فى امكان الدول المتقدمة شراء المواد الخام التى تحتاج اليها من الدول المنتجة بأسعار (أرخص) . كما ارتفع الميزان التجارى ، بالنسبة للدول الفقيرة ، بشدة فى مصلحة بريطانيا . وقد أوضح دكتور داج همرشولد السكرتير العام للامم المتحدة المعنى الآخر المظلم لهذا الرخاء - أى بالنسبة للدول الفقيرة . فقال همرشولد : انه فى الدول المتخلفة « يكاد الهبوط الذى يبلغ ٥٪ فقط من معدل أسعار التصدير يعادل مجموع رأس المال الذى تحصل عليه هذه الدول ، لا من قروض البنك الدولى فحسب ، بل من جميع القروض العامة والخاصة والمنح الحكومية كذلك »

وقد بلغت نسبة الانخفاض فى أسعار بعض المنتجات الرئيسية من ١٠ - ٤٧٪ وتم ذلك فى غضون الأعوام العشرة التى أعقبت ماأسماه الرئيس ترومان (بالمشروع الجرىء) الخاص بالمعونة المتبادلة والمساعدة الفنية التى تساهم بها الدول المتقدمة ، بما تنطوى عليه هذه المساعدة من مهارة ووسائل جديدة لمصلحة الدول التى لم تصل الى درجة كبيرة من التقدم .

لقد ازداد الموسرون غنى ، والمعدمون فقرا ، وظلت الفجوة واسعة بينهما ، بل لقد أخذت الهوة السحيقة تزداد سعة يوما بعد يوم ، وبرغم ذلك فان تلك الأعوام كانت هى التى شهدت تحول بلاد المستعمرات الى دول مستقلة ، وظهور وعى جديد بأن الجوع والمرض ليسا (من صنع الله) ولكنهما يرجعان الى مدى ادراك الانسان لهذه الأمور وتصرف الحكومات حيالها .. ان بيننا وبين عام ١٩٨٠ ، عشرين عاما فقط ، وفى هذه الفترة ستنجد أننا فى حاجة الى اطعام أربعة آلاف مليون فم . وهذا ما تضمنه تقرير « بيلى » .

وجدير بالذكر أن النتائج التى توصلت اليها اللجنة الامريكية

المكلفة ببحث سياسة الرئيس الأمريكى ، والتى يرأسها مستر وليم بيلى مدير اذاعة كولومبيا ، قد نشرت عام ١٩٥٢ كتقدير لما تحتاج اليه الولايات المتحدة الامريكية من المواد الخام الضرورية للمحافظة على استقرار اقتصادياتها .

وقد كانت الولايات المتحدة بالفعل فى عام ١٩٥٠ تستخدم نصف رصيد العالم من المعادن ، كما كانت مطالبها فى ازدياد بمعدل ٣٪ سنويا . ففى ذلك العام استخدمت الولايات المتحدة ٢٧٠٠ مليون طن من المواد الخام المعدنية وغير المعدنية والمحصولات الزراعية ومواد البناء والوقود، وذلك بمعدل ٣٦ ألف رطل للشخص الواحد سنويا . ان هذه الدولة التى يبلغ تعداد سكانها أقل من ١٠٪ من مجموع سكان «العالم الحر» كانت تستخدم ما يزيد على نصف رصيد العالم من البترول والمطاط والحديد الخام والمنجنيز والزنك .

ويمكن القول بأن تلك الدولة التى علمتنا كتبنا المدرسية انها تتمتع باكتفاء ذاتى كلى ، قد أصبحت رهينة للدول «المتخلفة» — كما يطلق عليها — وذلك فيما يتعلق بثلثى احتياجاتها الصناعية .. أما بالنسبة لاحتياجاتها لمواد جديدة فى ميدان الصناعة مثل الذرة والمواد الالكترونية فان اعتمادها على هذه الدول سوف يصبح أعظم من ذلك بكثير .

وبصراحة مدهشة أوضح « بيلى » فى تقريره الذى يسعى من أجله رجل الأعمال الى تحقيق المعونة المتبادلة — أوضح « أن الهدف من وراء سياسة الولايات المتحدة تجاه ثروات الدول الأخرى انما هو ضمان تدفق أكبر قدر من هذه الثروات بأقل النفقات مع المحافظة على سلامة البلاد ورفاهية الدول الصديقة » .

واذا فشل الشعب الجوعان فى أن يثير مشاعر العطف ، فان وعى العامل بمصلحته الشخصية يجب أن يسترعى النظر الى هذه المشكلة . مشكلة المصلحة العامة . ان ما قاله (بيلى) فى تقريره عن أمريكا ينطبق الى حد بعيد على بريطانيا التى وصفها أنورين بيفان ، فى وقت ما ، بأنها كتلة من الفحم محوطة تماما بكمية من الاسماك . فان حوالى ٥٠٪ من المواد الغذائية التى تحتاج اليها بريطانيا ، وكذلك معظم المواد الخام التى تستخدمها فى الصناعة — باستثناء الفحم — لا بد أن تستورد « بأقل التكاليف » مع المحافظة على رفاهية الدول الصديقة .. أو « عن طريق المحافظة على صداقة هذه الدول مع تأكيد رفاهيتها » .

ان هناك صلة بين جوع الشعب وجوع الآلات ، فالدول الناهضة لا بد أن تضع فى اعتبارها رفاهية شعبها كعامل أساسى ... هذا اذا كانت حكومات هذه الدول غير فاسدة ، فاذا تمكنت تلك الدول من انتاج المزيد من المواد الغذائية فسوف تستخدم جميعها للاستهلاك المحلى ، ان لم يكن لتصدير الفائض منها ، اذا كان ذلك مستطاعا . وسوف يكون لهذا الاعتبار الأولوية على وضع مواردها فى خدمة الصناعة فى الدول الاخرى . وقد تناول ارنست بيفن بالوصف الدقيق العبرة من وراء ذلك ، وأسباب التغير فى مجالات السياسة والعلاقات الدولية .

ففي غضـــون عام ١٩٤٧ الذي يكاد يكون قد نسي تمـاما ، أدلى أرنست بيفن بتصريح قال فيه : ان في امكانه حل المشـكلة الالمانية اذا كان لديه قـدر كاف من الفحم ، ولكنه في الواقع لا يملك هـذا الفحم وليس في مقدوره الحصول عليه .

ان محاولات احياء اقليم « الروهر » الخرب ، واعانة الالمان على مساعدة أنفسهم بأنفسهم ، تتطلب ضرورة استخراج الفحم . ولكن عمال المناجم على درجة كبيرة من سوء التغذية ، بحيث وصلوا الى حد العجز عن انجاز الاعمال الموكلة اليهم ، الامر الذي دعا بريطانيا الى الموافقةعلى تحويل ١٢٠ الف طن من الحبوب التي حصلت عليها من أمريـكا ، الى المانيا مساهمة منها في اطعام عمال المناجم للمساعدة على تقطيع الفحم .

ونتيجة لذلك طبقت بريطانيا نظام توزيع الخبز بالبطاقات ، وهو النظام الذي لم تلجأ اليه الا في أحلك أيام الحرب ، وقد قامت جمعيـة ربات البيوت بمظاهرات عنيفة ضد هذا النظام .

ومن الأمور العارضة اننا لم نحصل على ما ينقل الـ ١٢٠ ألف طن من الحبوب . وذلك لأنه في تلك الآونة تعرضت الهند لمجاعة ، الأمر الذي من أجله وافقت حكومة العمال على ضرورة ارسال الحبوب الى هناك . وبرغم ما كان لهذه اللفتة من دلالة بالغـة ، فقد مرت كأن لم تكن ، بل ذهبت في طي النسيان منذ ذلك الحين .

وقد واجهت حكومة العمال ، نتيجة لقيامها بتوفير الخبز للعدو منذ عدة شهور ومساعدتها للهند الجديدة في ساعة الضنك التي حلت بها ، واجهت هذه الحكومة غضب معارضيها كما تعرضت للوم مؤيديها . وهـــذا الوضع يعتبر احدى المناسبات النادرة التي تفوق فيها عظمـة الروح الانسانية الضرورة السياسية الملحة .

ويمكننا تكرار القول بأن هناك صلة وترابطا وثيقا بين جوع الشعب وجوع الآلات . ان عمال المناجم في « ساوث ويلز » ليس في استطاعتهم أن يأكلوا الفحم الذي يستخرجونه ولكنه يساعدهم في الحصـــول على المأكل . فنحن نحصل على ما يقرب من نصف المواد الغذائية في صورة واردات تأتي مقابل صادرات . اننا نبيع البضائع لكي ندفع ثمن الغذاء الذي نغذي به الانسـان والآلات على حد سواء ، اذ أننا في حاجة ماسة الى المواد الخام ، واذا لم نتمكن من الحصول على هذه المواد فان الآلات بدورها لن تتمكن من العمل ، واذا كفت الآلات عن العمل فان المصانع لن تكون في حاجة الى الفحم . واذا لم نتمكن من بيع الفحم أصبح من المتعذر على عمال المناجم أن يشتروا الغذاء الذي يكفيهم لامساك رمقهم .

وجدير بالذكر أننا في غضون ثلاثينات القرن التاسع عشر شهدنا مولد « لجان مكافحة التغذية » التي كان يشرف عليها فطاحل العلماء من أمثال فردريك جولاند هوبكنز وجـون بويد أور ، وفي يومنا هـذا منظمات مشـابهة للجان مكافحة سوء التغذية ويطلق عليها عبارة « فاو » أي منظمة الاغذية والزراعة التابعة للامم المتحدة . وهذه المنظمة لاتبحث في مسألة الجوع بالنسبة لجنوبي ويلز ولانكشير فحسب ، وانما في جميع

انحاء العالم الرحب ، بل لقد امتد نشــاط المنظمة حتى شــمل أعوام الجوع فى بريطانيا .. وقد تأسست المنظمة نتيجة لجهود بويد أور الذى تولى منصب أول مدير عام لها وحصل على جائزة نوبل للسلام .

وعندما ذهبت لمقابلة دكتور جون بويد أور لاول مرة كان يشغل منصب مدير معهد رويت لابحاث التغذية الحيوانية ، فى أبردين، وبرغم أن طريقة استقبالى لم تكن مشجعة ، فانى تمكنت من الوقوف على مدى ما يبذله «بويد» من مجهود فى ميدان التغذية الحيــوانية . ان مهمتــه كمدير لهذه الابحاث ان يكتشــف ، ثم يظهر ، ثم يقنع الفلاحين بقيمة التغذية . وهذه ــ كما يقول ــ مهمة سهلة ، اذ أن العلماء فى امكانهم أن يثبتوا للفلاحين أن التغذية تعود بالفائدة والنفع على قطعانهم وماشيتهم . ولكن بالرغم من أن الفائدة تكون واضحة بالنســبة لرفاهية الانســانية جمعاء ، فانه لم يتمكن من اثارة اهتمام الشــعب أو الحكومة بالنســبة لتغذية الاطفال . فقد قام دكتور بويد بتجربة على ١٥٠٠ طفل من أبناء العاطلين فى سبع مدن كبيرة فى سكوتلاند ، وأسفرت النتائج عن امكان تحقيق تحسن ملحوظ فى صحة الاطفال عن طريق حصولهم على اللبن ــ سواء أكان لبنا دسما أم منزوع الدسم ــ على أن تقوم المدارس التى يتعلمون فيها بامدادهم بهذا اللبن، وذلك كتعويض لهم عن حالة البؤس التى يقاسونها فى منازلهم .

وجدير بالذكر ان اللبن فى ذلك الوقت كان موجودا بوفرة كبيرة، وكان اللبن الخــالى من الدسم يذهب الى البــالوعات . وقد حث بويد الحكومة على أن تستخدمه فى اطعام آلاف الاطفال الجياع طبقا لمشروع قومى يهدف الى تحــويل الفائض الى المــدارس ، ولكنه لم يجد آذانا مصغية ، الأمر الذى أثار فى نفسه الغضب والقنوط . ذلك أن علم التغذية الحديث فى نظر بويد قد وصل الى مرحلة النضج وان الفيتامينات التى اعترف بها جولاند هوبكنز بعد ذلك بثلاثين عاما قد أصبحت شــائعة فى يومنا هذا وكذلك الحقائق الكيمائية الاخرى المتعلقة بالتغذية .

وقد قال بويد فى معرض حديثــه معى : « ان كل ما تعلمته عن التغذية ، وكل ما أعرفه عن الكربوهيدرات أو البروتينات ، والفيتامينات ، والأنزيمات هو أنه اذا كان الشعب جوعان احتاج الى الطعام . اما اذا كان يقاسى من سوء التغذية ، فانه فى هذه الحــالة يكون فى حاجة الى طعام جيد » .

وقال بويد : ــ ولا أخاله يكف عن القول حتى يصل صوته الى جميع أرجاء العالم ــ تصور معى ان هناك ألف مليون شخص فى العالم لم يتمتعوا قط بالكفــاية الغــذائية ، ولا ينطبق هــذا على من لفظتهم المجاعات فحسب بل على الملايين الكثيرة التى لم تعرف قط معنى الصحة الكاملة نتيجة للفقر والعوز .. ان ملايين الفلاحين والزارعين يعانون من الفقر لأنه ليس فى استطاعتهم انتاج الغذاء الذى يحتاج اليه الجائعون، او بمعنى آخر فانهم اذا استطاعوا انتاج هذا الغذاء واجهوا الدمار نتيجة لما يسمى « بزيادة الانتاج عن المعدل المطلوب » .. انك اذا استطعت أن نطعم الجائعين ــ اســتطعت من ثم أن تحقق للفــلاحين الرخاء .

تلك هى الأيام التى شهدت الفقر والرخاء مجتمعين ــ بل انهذا الوضــع مازال قائمــا ــ ويثبت ذلك ماكتب على قبر أحــــد الزارعين الكنديين :

« هنا يرقد جثمان الفلاح الذى مات من جراء كثرة ما زرعه من القمح »

وبرغم أن جون بويد أور واجه كثيرا من المعارضة عنـدما خرج من معمله باحثا فى آفاق البؤس الانسانى ، فانه تحدى الجميع وأصدر بحثه حول « الغذاء والصحة والدخل » ، ذلك البحث الذى كانمفخرة تعلم من حيث الانعكاسات التى أضفاها فىمجالاتالسياسة والاجتماع .

لقد أزاح هذا البحث النقاب للمرة الأولى عن حقائق علمية رهيبة حول حالة التغذية بينأبناء الشعب البريطانى . وقد اعتبر البحثوثيقة مذهلة اذ انه أظهر ان ما يقرب من ٥٠٪ من أفراد الشعب لم يكنلديهم فى ذلك الوقت ــ أى فى الفترة مابين عامى ١٩٣٣ ، ٣٤ ــ الدخل الذى يكفيهم لتأمين احتياجاتهم الضرورية .. بل لقد كان من المتعذر فىبعض المناطق تفادى سوء التغذية ، ومن هذه المناطق بوتوم تنث التى تضم عمال المناجم فى ساوث ويلز .

وقد بدأت ثورة بويد أور الاجتماعية بالارقام التى أعلنها علىمنصة الجمعية البريطانية للتقدم العلمى . لقد كان التقرير يعتبر ــ فى ذاته ــ ثورة سياسية ، كما جاء محطما للشعور بالرضا الذى لا يستند الى أساس متين . ولم يكن من الحكومة الا أن جندت رجــال الاقتصــاد وخبراء الاحصاء « لدحض هذه الارقام » التى بعد أن قاموا بدراسة دقيقة لها ، لم يجدوا هناك بدا من تأكيدها أو اثبات خطئها .

وفى عام ١٩٣٥ وصلت الى أبردين برقية من جنيف تحململاحظة من «لاتيمر» الى «ردلى» وقد جاء فى البرقية : « فلتطب نفسا يا أخى أور ، لقد أضأنا فى جنيف اليوم شمعة لن تنطفىء أبدا بفضل الله » .

وكانت هذه البرقية تحمل توقيع كل من ستانلى بروس الذى كان مندوبا لاستراليا فىعصبة الأمم، وفرانك ماك دوجال وهو مستشار الحكومة الاسترالية فى الشئون الاقتصادية ..

لقد أدرك الاثنان مدى الاهميــة التى ينطوى عليهــا البحث الذى قدمه بويد أور حول الوضع فى بريطانيــا ، ونظريته القــائلة : باننا فى امكاننا ادخال الرخاء على زراعة العـــالم أجمع بما فى ذلك استراليا عن طريق سد الاحتياجات الغــذائية .. وقد كانت دهشــته بالغــة للاستجابة التى لم تكنمتوقعة منجانب الدولتجاه اقتراحه ! فقد قامت الجمعية العامة على الفور بتشكيل اللجنة المشتركة التابعة لعصبة الأمم، وتضم ثلاث منظمات هى : منظمة الصحة ، واللجنة الزراعية ، ومكتب العمل الدولى ، وفى ذلك الوقت تلقى بويد أور برقية تقول : ان العمل الذى قام به والذى كان مقصورا على بريطانيا فحسب قد امتد حتى شمل العالم أجمع .

وجدير بالذكر أنه لم يسع الدول الاخرى الا أن قامت بتقديم أبحاث على غرار « الغذاء والصحة والدخل » ففى الولايات المتحدة ، التى تعد أغنى دولة فى العالم ، أتت هذه الأبحاث بنتائج غير مطمئنة للغاية ، فقد اتضح أن هناك ٥٠٪ يعيشون على حد الفاقة ، على حين أن هناك ١٠٪ يعانون بالتأكيد من سوء التغذية وسوء العلاج ، بل لقد جاءت النتائج التى أسفرت عنها بحوث ثمان وعشرين دولة أخرى مزعجة للغاية .

هذا وقد واصل بويد أور ابحاثه فى بريطانيا على نطاق أوسع : وعلى ضوء هذه الأبحاث استند كثير من الاعتبارات الخاصة بنظام البطاقات الذى طبق ابان أعوام الحرب . وفى الواقع أنه يحق القول بأن العمل الذى قام به أور ، والذى استطاع بمقتضاه اخضاع الاداريين للحقائق العلمية عن طريق طرح الموضوعات للمناقشة العامة وتثقيف الشعب وارهاب السياسيين المعارضين — كل ذلك جعل فكرة تطبيق نظام البطاقات فى مطلع أعوام الحرب تبدو فكرة محببة تنطوى على العقل والحكمة . وبفضل « الأنصبة العادلة » وانتشار المعرفة حول أهمية التغذية ، خرجت بريطانيا عقب انتهاء الحرب التى استمرت ست سنوات ، فى حالة أفضل مما كانت عليها فى عام ١٩٣٩ .

بل لقد كانت هناك تطورات أخرى فقد دعا روزفلت فى عام ١٩٤٣ الى عقد مؤتمر « هوت سبرنجز » الذى مهد السبيل الى تكوين منظمة الاغذية والزراعة فى كويبك عام ١٩٤٥ .

ولم يكن ذلك هو ما رسمه جون بويد أور فى مخيلته وما كان يتطلع الى تحقيقه بمرور الوقت ، بل لقد كان يريد من هذه المنظمة أن تكون بمثابة وكالة ذات مهمة خارقه « تخرج بالغذاء عن نطاق السياسة ، وتخرج بالسياسة عن نطاق الغذاء » . ولكن كان من الواضح أن الدول لم تكن بعد على استعداد للنزول عن سيادتها لمصلحة المجتمع الدولى . وقال أور : « انه بينما كانت شعوب العالم تصرخ مطالبة بالطعام كانت منظمة الأغذية والزراعة توزع عليهم النشرات » . ولكن أور مع ذلك واصل علمه وجهاده بحماس بالغ الى أن اعترضت طريقه البيروقراطية وأعوانها من السياسيين الذين خيبوا آماله فى النهوض بمستوى المنظمة

لقد كان بويد أور كرسول للادراك السليم فى عالم جوعان ، وكنبى يتحدث بلهجة القرن العشرين . وقد شهدت جنيف واقعة لن تنساها أبد الدهر ، وذلك عندما حضر بويد اجتماعا لاحدى اللجان التى تسعى الى عرقلة التقدم ، فقام وانتزع « الميكرفون » من يد المتحدث وقال للوفود المجتمعة رأيه فيهم . وبعد أن غادرنا قاعة المؤتمر قال لى عضو كندى : « ان ذلك الرجل يحمل بين جنبيه حب الآلهة » .

لقد انطفأت الشعلة التى أشعلها أور فى يد خلفائه الى أن أشعل جذوتها من جديد مستر ب . سن الذى يوصف بأنه رابع شخص يتولى منصب المدير العام للمنظمة ، فقد قام بشن « حملة التحرر من الجوع » التى شملت جميع أنحاء العالم .

لقد انكمش العالم اليوم فى الزمان والمكان ، وحول كوكبنا الصغير، الأرض ، يستطيع جهاز صنعه الانسان أن يدور حوله فيما لايزيد بل يقل عن ساعة ونصف الساعة . واذا أخذنا فى اعتبارنا وسائل النقل والمواصلات وجدنا أن هناك صلة جوار بين دول العالم وشعوبها كافة. ان الطفل الذى يموت فى بلدة « بالوبا » بالكونغو أو على جبال «بوليفيا» أو فى مجارى المياه التى تمتلىء بها « كلكتا » يعتبر اليوم جريمة من صنع أيدينا ، لا تقل مسئوليتها عن الطفل الذى يموت جوعا أو نتيجة للجوع فى أحد وديان ساوث ويلز .

ان ما نتحدث عنه ليس مسألة مستوى معيشة فحسب ، وانما هو أيضا مسألة قيم ومدى المستوى الذى تصل اليه هذه القيم .

الباب الثانى
تحديد النسل

وضع خبراء الأمم المتحدة فى تقريرهم الذى صدر بعنوان : « الزيادة المرتقبة فى عـدد السكان فى العالم » احصاءاتهم على أساس ستمائة سنة مقبلة . وذلك لكى يبرزوا مدى الضخامة المذهلة التى تطرأ على المعدل الحالى لزيادة عدد السكان فى العالم . وقد أثبت هـذا التقرير أنه فى غضون هـذه الفترة القصيرة نسبيا ، اذا سارت الأمور سيرها الطبيعى — وهذا بالطبع مالا يمكن تحقيقه — فانه لن يكون هناك على وجه الارض الا مكان لوقوف البشر فقط .

واذا أخذنا فى الاعتبار مساحة اليابسـة بأكملها ، بما فى ذلك من المناطق غير الآهلة بالسكان فى الوقت الحاضر — أو التى لا يمكن الوصول اليها مثل قمة افرست — فلن يكون لكل فرد سوى متر مربع واحد من الأرض لكى يعيش عليه .. ان ذلك ليدعو الى السخرية !

فى غضون مائتى ألف عام تكاثر الجنس البشرى حتى وصل الى الرقم الحالى ، وهو ما يقرب من ثلاثة آلاف مليون نسمة . بل ان هذا الرقم سوف يتضاعف فى أقل من أربعين عاما . ان كل دقة من دقات الساعة تشـهد مولد أطفـال جدد فى حاجة الى الطعام .. وربما يبلغ تعداد السكان فى العالم بعد مرور قرن آخر أى فى عـام ٢٠٦٠ مقـدار ١٨٫٠٠٠ مليون نسمة .

وقد أغفل خبراء الأمم المتحدة فى تقريرهم المزعج الذى صـوروا فيه سكان العالم وقد تكاثروا فوق سطح الكرة الأرضية وكأنهم سرب من النحل ، أغفلوا نقطة أخرى كفيلة بأن تثير فى نفوسنا مزيدا من الرعب والفزع حيال المستقبل القريب الذى لابد من مواجهته ، ذلك لان الارقام ستصل فى عام ١٩٨٠ الى ٤٠٠٠ مليون نسمة على الأقل ، هذا اذا لم تحل بالعالم كارثة تودى به . وفى الوقت نفسه سوف ينخفض معـدل الوفيات نتيجة لتقدم العلوم التى خففت من وطأة المرض ، وسـاعدت الناس على أن يعيشوا لفترة اطول من ثلاثين عاما ، وهى النسبة الشائعة بين معظم شعوب العالم المتخلفة . أما بالنسبة لمحبذى فكرة تحـديد النسل فانهم ليسوا متفائلين بالقدر الذى يجعلهم يعتقدون انه حتى اذا التزمنا جانب الحكمة فى الحقل البيولوجى فان الاتجاهات قد تتحول تحولا شاسعا من جيل الى آخر .

وهذا ماجاء فى تقرير الأمم المتحدة :

« من الأمور التى تعتبر أكثر ازعاجا من الزيادة المرتفعة فى عدد السكان ، تلك الزيادة التى من المتوقع أن تصل الى ٦٠٠٠ أو ٧٠٠٠ مليون نسمة مع مطلع القرن الجديد ، وان هذا الرقم من المحتمل ان يتحقق فى وقت قريب جدا

ان عام ٢٠٠٠ الميلادى ليس ببعيد فى المستقبل عما كان عليه الوضع بالنسبة لعام ١٩١٤ فى الماضى .. اننا اذا أردنا أن نكيف الزيادة المرتقبة فى عدد السكان لكى تتمشى مع أقل الظروف التى يجب توافرها لكى تحفظ للانسان كرامته ، فاننا لا بد من أن نسخر كل امكانياتنا من أجل تحقيق مزيد من التقدم الفنى ، والتعاون المثمر فى المجال الدولى ، وذلك بأسرع من القدر المعقول الذى كان سائدا فى غضون الثلاثة والأربعين عاما الماضية » .

وفى الواقع أن الأمر المزعج بالنسبة لمسألة الزيادة لايتمثل فى الرقم ، وانما فى الفترة من الزمن التى سوف تشهد الارتفاع الى هذا الرقم .. ومن الممكن — كما سنحاول أن نوضح عن طريق هذا الكتاب — أن نقدم أرقاما مثل ٣٠٠٠ مليون أو ٦٠٠٠ مليون أو ١٦٫٠٠٠ مليون أو ١٨٫٠٠٠ مليون ، وذلك اذا استخدمنا الذكاء الانسانى مع تجنيد الموارد كافة . ولكننا اذا لم نبدأ فى اتخاذ اجراء ما منذ الآن ونحن فى عالم يقاسى نصف عدد سكانه من سوء التغذية ان لم يكونوا قد وصلوا الى حد المجاعة .. نقول اننا اذا لم نبدأ الآن فى اتخاذ اجراء ما للتخفيف من حدة الموقف ، والاستعداد لمواجهة الأرقام المتزايدة ، فاننا نكون قد وقعنا فى مشكلات لا حصر لها ، وصيغة « الجمع » هنا لا تنطبق على المجموع العالمى فحسب . بل تنطبق أيضا — فى معناها الضيق — على شعب الجزر البريطانية أو الكتلة الغربية أو المنطقة الشمالية .

ومما هو جدير بالذكر ان الساسة الذين بلغوا أواسط عمرهم سوف يعاصرون تلك الثورة الديموجرافية ، التى لم يعترف بها حتى الآن من الناحية السياسية ، والتى سوف تغير من نظام الكون تغييرا شاملا . لقد كانت نسبة الاوروبيين الى الآسيويين فى مطلع هذا القرن ١ : ٢ وبانتهاء القرن نفسه سوف تصبح النسبة ١ : ٤ — وتشمل عبارة الاوروبيين هنا الاتحاد السوفيتى بأكمله . أما سكان أمريكا اللاتينية فسيكون عددهم قد ازداد بمقدار عشرة أضعاف عددهم الحالى ، كما سيبلغ عدد سكان القارات الباقية أربعة أضعاف .

من الملاحظ أن هناك عملية توزيع غير عادلة بين سكان العالم الذين يبلغ تعدادهم ٣٠٠٠ مليون نسمة . واذا نظرنا الى الموضوع من هذه الناحية وجدنا أن أوربا ، بما فى ذلك من الاتحاد السوفييتى ، تعتبر معتدلة بالنسبة لتعداد السكان بها .

أما أفريقية والأمريكتان الشمالية والجنوبية فتعتبر من القارات غير المكتظة بالسكان ، أى أنها دون الحد المعقول ، والعكس صحيح بالنسبة لقارة آسيا التى تعتبر مكتظة الى حد بعيد بالسكان .

غير أن هـذا لا يعنى الشيء الكثير ، حيث اننا اذ نقول مثلا أن الهند « مكتظة بالسكان » نجد أن كثافة السكان تبلغ ٢٨٠ نسـمة لكل ميل مربع ، وهذا هو نصف الرقم الذى فى بريطانيا العظمى .

واذا قلنا ان مصر « مكتظة بالسكان » نجد أن تعـداد سكانها ٢٢ مليون نسمة فى منطقة تبلغ مساحتها ٣٨٦٫٠٠٠ ميل مربع (١)

أما بالنسبة للدانمارك فنجد أن مساحتها تبلغ ١٦٫٠٠٠ ميل مربع فقط ، على حين يبلغ عدد سكانها ٤٫٥ مليون نسمة . بل ان الدانمركيين الى جانب توافر الغـذاء الجيد لهم يعتبرون من كبار مصـدرى المواد الغذائية ، على حين نجد أن الفلاحين فى مصر فى حاجة الى مواد غذائية اكثر .

والاختلاف هنا لا يتعلق بوسائل الزراعة الجيدة فحسب ، وانما هناك الى جانب ذلك حقيقة واقعة ، وهى انه فى معظم البلدان غير المكتظة بالسكان نجد أن الاهالى يتجمعون حول الانهار .

وفى الواقع أن مساحة الأراضى الصالحة للزراعة فى وادى النيـل تعادل مجموع الأراضى الصالحة للزراعة فى الدانمارك ، وذلك لان مساحة الأراضى المتبقية من مصر وتبلغ ٣٧٠٫٠٠٠ ميل مربع صحراء جرداء .

ان ما نعنيه اذن بالمناطق المكتظة بالسكان هو العـلاقة بين عـدد السكان والموارد الغذائية المتوافرة لسـد حاجة العـدد الحالى لهؤلاء السكان .

غير أننا نلاحظ ان الزيادة المذهلة فى عدد السكان لم تجىء نتيجة للزيادة المفاجئة فى نسبة النسـل ، اذ انه لم يطرأ أى ارتفـاع كبير على معدل المواليد .

ان سبب هذه الزيادة يرجع الى أن معدل مدة بقاء الفرد على قيد الحياة قد زاد ، وذلك بفضل التقدم الذى حققه الطب الحديث فى مجال التحكم فى نسبة الوفيات .

اننا نجد ان معدل الوفيات قد انخفض على حين ظل معدل المواليد على نسبته المعتادة .

وقد كانت نتيجة ذلك أن الافراد أصبحوا الآن يعيشـون لفترة أطول ــ أى أنه قد طرأت زيادة على الفترة التى كان يعيشها الفرد ــ وان الاطفال الذين كانت عيونهم لا تكاد ترى نور الحياة ، قد أصبحوا يعيشون لكى يتزوجوا وينجبوا بدورهم أطفالاً آخرين .

ولنذكر على سبيل المثال ما حدث فى غيانا البريطانية .. ففى عام ١٩٤٥ توجه اثنان من العلماء الى هنـاك قادمين من ترينداد فى زيارة لا تتعدى نهاية الاسبوع .

---

(١) هذا الرقم قبل التعداد الاخير .

وما ان وصلا حتى أخبرهما موظفو الصحة بالارتفاع المتزايد فى معدل الوفيات بين الأطفال ، فقد بلغت نسبة الوفاة طفلا واحدا لكل أربعة أطفال فى سن لا تزيد على عام واحد !.

وكان السبب الأول والأخير للوفاة هو الأمراض التى تنتقل عن طريق الحشرات .

فما كان من هذين العالمين الا أن وضعا ـ كعلاج لهذه الحالة ـ مسحوق « ا د . د . ت . » الذى أصبح فيما بعد فى متناول الجميع (لقد أعطاه ونستون تشرشل الأولوية مثله فى ذلك مثل البنسلين) .

وقد ساعد هذان العالمان الخبراء الصحيين فى الحصول عليه ، الأمر الذى مكنهم من رش مساحه تبلغ ١٠ أميال مربعة بما فى ذلك مدينة جورج تاون بطريق الجو .

وقد أسفرت التجربة عن نتائج مذهلة ، ففى عام ١٩٤٨ هبط معدل الوفيات بالنسبة لكل ألف طفل من ٢٥٠ الى ٦٧ طفلا .

وفى سيلان نجد أن محاربة بعوض الملاريا عن طريق « ا د.د.ت» قد أدت الى هبوط نسبة الوفيات بمقدار النصف فى مدى سبع سنوات، وهذه العملية نفسها قد استغرقت من بريطانيا سبعين عاما .

وفى جزيرة موريس أيضا ـ وفى مدى سبع سنوات ـ هبط معدل الوفيات من ٢٧ الى ١٥ لكل ألف شخص .

وجدير بالذكر أنه فى غضون مائة العام التى سبقت الحرب العالمية الثانية ، ارتفعت نسبة الأعمار فى كل من انجلترا وويلز من ٤٠ الى ما يزيد على ٦٠ سنة أى بنسبة سنة لكل خمسة أعوام .

وفى الهند أصبح هذا المعدل الآن ٤٠ سنة بعد أن كان دون الثلاثين لبضعة أعوام مضت .

كما أن المعدل فى زيادة مستمرة بنسبة عامين ونصف العام لكل ٥ سنوات .

وفى الماضى كانت هناك عوامل تقليدية ثلاثة تحد من الزيادة فى عدد السكان هى : المجاعة ـ الوباء ـ الحرب .

لقد أصبح فى مقدورنا الآن أن نتحكم فى الوباء ، كما أننا نحاول أن نتجنب الحروب ، وذلك لعلمنا أن الحرب القادمة الشاملة بأسلحتها النووية ستقضى على الحياة قضاء مبرما .. وتبقى بعد ذلك أمامنا المجاعة التى تعتبر صورة لا ترحم للتحكم فى تعداد السكان .

ومنذ ما يقرب من ١٦٠ عاما مضت ، أصر توماس مالتوس على أن ازدياد الطاقة الانتاجية قد شجع على زيادة عدد السكان بقدر يفوق الزيادة المحتملة فى وسائل العيش .

وأشار الى أن السكان يتزايدون وفقا لمتواليات هندسية ، أما المواد الغذائية فتزداد وفقا لمتواليات حسابية .

ويمضى مالتوس فى جدله قائلا : انه مالم تتوافر الوسائل الاختيارية للتحكم فى الزيادة فى عدد السكان (وهو يقصد هنا التقشف والزهد) فان الانسانية سوف تتردى فى كوارث متعددة من المجاعة والفقر .

ولم يكن ثمة خطأ فى تقديراته الحسابية .. كما اننا لانستطيع أن ندحض دعواه الأساسية بقولنا : أننا مررنا بالازمة بسلام .

غير أن هاموندز ذكر فى كتابه « العامل فى المدينة والعامل فى الريف » .

« لقد هدد مالتوس ضمير الطبقات الارستقراطية » ... ففى غضون القرن العاسع عشر كان بمقدورهم أن يبرروا على الدوام المساوى الاجتماعية كافة من مساكن حقيرة ، وصحة سيئة وظروف رديئة فى العمل . الى غير ذلك من هذه المساوى ــ بقولهم :

اذا فعلتم أى شىء من أجل اصلاح حال الفقراء ، فان النتيجة سوف تكون ازدياد عدد الأطفال وموتهم جوعا ! .

ان هذا الخطر الذى أشار اليه مالتوس له وجود فى يومنا هذا .. والطبقة الارستقراطية فى هذه الحالة هى الدول الغنية .

ولنذكر هنا رأى البروفسور « أ. ف. هل » الذى حاز جائزة نوبل فى الطب ، فقد قال فى عام ١٩٥٢ عندما كان رئيسا للجمعية البريطانية للعلوم الطبية :

« اذا كان فى امكاننا أن نتكهن بمدى النجاح الهائل الذى يحرزه الطب الحديث ، فهل يوافق أصحاب النزعات الانسانية على انه من الأفضل الحد من استخدام هذه العلوم لكى تتمشى مع التقدم فى مجالات أخرى ، حتى نحقق التنمية طبقا لأسس منظمة سليمة ؟ »

ان البعض قد يوافق على هذا الرأى اذا أخذ فى اعتباره الوجهة البيولوجية البحتة من هذا الموضوع .. بمعنى أنه اذا سمحنا للبشر أن يتكاثروا بأعداد وافرة ــ مثل الأرانب ــ فلا بد أن نتيح لهم فرصة الموت أيضا بأعداد وافرة ، وذلك حتى تعلمهم الثقافة المتطورة كيف يعملون على تحسين أنفسهم والمطالبة بمستوى معيشة أفضل .

ومع ذلك فان هذا الرأى لن يحوز رضاء كثير من الناس .

ولكن لنفرض أنه قد أصبح من المؤكد حاليا أن الزيادة التى لا تحدها الأمراض فى عدد السكان ربما لا تؤدى الى استنفاد مساحة التربة وغير ذلك من الموارد الرأسمالية فحسب ؛ بل الى زيادة حدة التوتر والاضطراب فى العالم ، الامر الذى يحول دون استمرار المدنية ، فهل تغير الأغلبية ذات النزعات الانسانية والتفكير المعقول من رأيها فى هذه الحالة ؟

واذا كانت المبادىء الاخلاقية تنكر حقنا فى أن نقدم على فعل الشر الذى قد يفضى الى الخير ، فهل من حقنا أن نفعل الخير مع أنه قد يؤدى الى الشر فى المستقبل ؟

تلك هى المشكلة التى أبرزها رجل ذو نزعة انسانية كبيرة ..
ولكننا اذا أخذنا فى اعتبارنا مضمون هذه المشكلة ، نجد أنها لا تختلف فى شىء عن فكرة ابادة الجنس ـ اذ اننا طبقا لذلك ننكر على الشعوب الجاهلة التى تنتمى الى الاجناس المتخلفة حق الانتفاع من التقدم الذى تحرزه العلوم الحديثة !.

ولكننا اذا عرضنا المشكلة بهذه الطريقة نجد انها تنكر أيضا الحقائق الجوهرية التى لا تعترف بالرياضيات أو التجديد العلمى .

ان الشعوب التى سوف تترك سجينة الفقر والجهل هى شعوب تلك البلدان الناشئة التى سوف تقوم حكوماتها ـ مجازفة من جانبها ـ بحرمانها حق التمتع بفوائد العلم الحديث ، ذلك أن العلم الذى أسفر عن مثل هذه الفوائد قد هيأ لهم أيضا وسائل المواصلات التى جعلت الشعب يفطن الى هذه الفوائد .

ففى أفغانستان رأيت بعينى قبائل جاهلة لا تتمتع بأدنى قدر من المعرفة تزحف الى كابول مطالبة بمسحوق « الـ د . د . ت » الذى قد يحررهم ـ كما حرر جيرانهم ـ من أمراض الملاريا والتيفوس .

والشىء الوحيد الذى يدعو الى السخرية فى الوقت الحاضر هو أن حجم الزيادة الطبيعية فى الولايات المتحدة لا يختلف عنه فى الهند .

ففى خمسينات القرن التاسع عشر بلغ معدل الزيادة فى الولايات المتحدة ٨ر١ ٪ اذا قورن بمعدل الزيادة الذى بلغ ٤ر١ ٪ فى أربعينات القرن نفسه و ٧ر. فى ثلاثينات القرن نفسه أيضا .

من ذلك نرى أن زيادة كثافة السكان قد تبدو أمرا يدعو الى اللوم اذا ما كانت تتعلق بالشعوب الفقيرة فقط .

وجدير بالذكر أنه من حق أى بلد يتمتع بالسيادة أن يهتم بصحة شعبه ، ويعمل على تحسينها ، بل ويعمل أيضا بحزم ـ كما فى الهند ـ على تطبيق نظام التخطيط العائلى ما استطاع الى ذلك سبيلا .

لقد فعل نهرو ما لم يجرؤ على فعله زعيم آخر فى بريطانيا .

لقد دعا الى فكرة تحديد النسل بين أبناء شعبه .. ان أى حاكم أجنبى فى بلد ما لا يمكنه أن يقدم على اتخاذ هذه الخطوة ، اذ أنه لو أقدم، لقيل أن هناك عملية ابادة لابناء هذا البلد من جانب المستعمر .

وفى الواقع أن المسألة ليست مسألة قضاء على البشرية وانما هى مسألة ايجاد توازن بين معدل الوفيات ومعدل المواليد .

وقد قال البروفسور « أ . ف . هل » ـ وقد كان محقا فى ذلك ـ

« لا يحتمل أن تنتشر فكرة تخطيط الأسرة وتحديد النسل بطريقة واعية اذا ظلت النساء على جهلهن وعدم المامهن بأبسط مبادىء التعليم » .

ما أصدق هذا القول ! ولكن المشكلة ـ كما أشار «هل» ـ لاتحتمل الانتظار حتى تتم عمليات التثقيف بطريق رسمى .

وبرغم ذلك فان هناك وسيلة أخرى لتحرير النساء وتثقيفهن ، ولكنها باءت بالفشـل فى جميـع أنحاء العالم ، نظرا لاعتراض الكنيسة الكاثوليكية عليها ! .

لقد كانت هذه الوسيلة تتم بطريقة انسانية بحتة .

فقد أنشئت فى جميع أنحاء العالم آلاف العيادات الطبية من أجل رعاية صحة الأم والطفل ، وذلك عن طريق « صندوق رعاية الاطفـال التابع للامم المتحدة » .

وقد جذبت مثل هذه العيادات اهتمام الأم نتيجة لما تشعر به من قلق على صحة طفلها .

وهناك قابلت الطبيبات والممرضات ووجدت أنهن يتمتعن باحترام الجميع بل ويقمن بالاعمال التى يقوم بها الرجال .

وعن طريق رعايتهن للأم ككائن بشرى واحترامهن اياها تعلمت كيف تحترم نفسها .

لقد وجدت أنها ليست مجرد آلة لانجاب الأطفال كالماشية . وانما بدأت تفكر فعلا فى فكرة تحديد النسل ، بل وأكثر من ذلك فانها أخـذت تتساءل : « لم أنجب أطفالا مصيرهم الموت ؟ » .

ولكن مما يؤسف له أن الطبيبات والممرضات لم يعطينها الاجابة الصحيحة على سؤالها .. انهن لا يستطعن أن يقلن لها : أنها من الافضل ألا تنجب أطفالا حتى تتجنب خطر الموت .

كما أنهن لا يستطعن أن يعلمنها فكرة تحديد النسل ، اذ أن هذا يتعارض مع موقف الكنيسة الكاثوليكية الذى يرتكز على أساس العقيدة الدينية .

ان هذه الكنيسة تقـول ان لها من الاتباع ما يبلغ عـددهم ٤٠٠ مليون شخص ، على حين تسيطر فى الواقع ـ وفى هذا المجـال الدولى الحساس ـ على ٣٠٠ مليون شخص .

وهناك منظمة الصحة العالمية التى تبذل جهـودا جبارة لتخفيف حدة الوفيات ، ولكن ما ان تثار مسألة تحديد النسل حتى تواجه هـذه المنظمة من العراقيل ما يكفى أن يشل حركتها ويوقف جهودها ! .

وقد دأبت الولايات المتحدة على اتبـاع سياسة تحول دون السماح لأى فرد أو منظمة باستغلال الاموال الحكومية من أجل « النهوض بفكرة تحديد النسل » . ولطالما منعت وفود الدول الكاثوليكية ومنها الولايات

المتحدة وبريطانيا ، الامم المتحدة من اتخاذ اجراء فى هذه المشكلة ــ أى مشكلة تحديد النسل .

وفى الرابع عشر من شهر يوليو عام ١٩٦١ ، قال البابا معارضا فكرة تحديد النسل : انه اذا نظرنا الى هذه النقطة على نطاق واسع نجد أن زيادة السكان ، وتوفير الطعام اللازم لهم ، لن يخلق ــ فى الحاضر أو فى المستقبل القريب ــ أية مشكلات على الاطلاق .

ان المسألة ليست مسألة ايجاد طعام يكفى لكى يقيم أود الاشخاص ، ففى الواقع أنه من المحتمل أن يكون هناك طعام يكفى لذلك . ولكن الذى يهمنا هو أنه غير صحيح على الاطلاق أن هناك من الطعام ما يكفى اشباع البطون الخاوية .. واذا نظرنا الى نصف الكرة الغربى نجد أن الصوامع والمخازن والشون تكاد تنفجر من كثرة ما تحويه من فائض المواد الغذائية التى جمعت من الاسواق وتم تخزينها ، وذلك من أجل المحافظة على أسعار السلع الزراعية .

وفضلا عن ذلك فان حل هذه المشكلة لا يتأتى اطلاقا عن طريق توزيع هذا الفائض على الدول طبقا لشروط سياسية معينة .

ان الصدقة لا يمكن أن تكون حلا نهائيا لهذه المشكلة ، فضلا عن وجود الخطر الذى سوف يظل ماثلا والذى أكده البابا بنفسه عندما قال :

« ان الدول التى تقدم المعونات لا بد أن تتجنب اقامة نوع جديد من الاستعمار ، وذلك عن طريق استخدام هذه المعونات للسيطرة على الدول المتخلفة . »

لقد أثارت قصة قبائل «البالوبا» التى تتضور جوعا فى الكونغو الضمير العالمى عندما أثيرت فى شتاء عام ١٩٦٠ ولم تخف المجاعة التى تتهدد الكونغو على الكثيرين منا منذ عدة أشهر .. فقد جمعت قبائل البالوبا الغذاء قبل هربها عائدة الى موطنها الاصلى بعد أن نشأت الكراهية بينها وبين أعدائها التقليديين .

ولكن هذا الغذاء لم يكن الا نواة وجذور الحصاد التالى ، ذلك المحصول الذى لا بد أن يكونوا قد قاموا بزراعته فى ذلك الحين . ولم يكن هناك بد من مواجهة المجاعة فى أبشع صورها ، وقد كان فى امكان العالم ــ بما أوتى من كرم ــ وهذا ما تم بالفعل ــ أن يوفر الغذاء الكافى لوقف هذه المجاعة ، ولكن الرد جاء فى صورة الاجراء الذى اتخذته منظمة الاغذية والزراعة عندما قامت بتوفير الحبوب والبذور التى تمكن اللاجئين من مساعدة أنفسهم بأنفسهم .

وقد نادى البابا ، بشدة ، بضرورة توفير المساعدات الفنية وتحقيق التقدم الاجتماعى والاقتصادى « فى الدول المتخلفة » ولكن من المؤكد أنه يمكن القول بأنه فى معظم هذه الدول لن يتحقق التقدم الاجتماعى والاقتصادى بطريقة فعالة دون وضع مشروع تخطيط الاسرة موضع التنفيذ . ان هناك تشابها تاما بين الاسرة التى تضم عددا كبيرا من

الافراد والاسرة التى تضم منهم القليل ، فالاولى لا يمكنها الهرب من الفقر ، كما أن الثانية لن تستطيع تحقيق التقدم المطلوب .

وجدير بالذكر أنه اذا قدر لشعب من الشعوب أن يعيش عيشة الحيوانات فانه من ثم سوف يتكاثر مثلها ، والعكس بالعكس ، فانه اذا تكاثر مثلها فسوف يكتب عليه أن يعيش مثلها !

لقد أكد البابا حق العمال « فى الحصول على أجر مناسب يمكنهم من أن يكفلوا لأسرهم عيشة قائمة على أساس الكرامة ، بل ويمكنهم كذلك من الاقتصاد » . ولكن كيف تتأتى هذه « الكرامة » على حين ينتزع طفل جديد الغذاء ممن سبقوه ؟ وكيف يتحقق هذا « التوفير » فى الوقت الذى يناضل فيه كل فلاح يعول أسرة ضخمة من أجل البقاء فقط لا غير ؟

وفى هذا المعنى قال البروفسور « ل . ددلى ستامب » فى كتابه « عالمنا المتأخر » الذى صدر عام ١٩٥٢ حول حالة الانتاج الزراعى فى الهند :

« ان هذا الانتاج ما زال ضئيلا نسبيا نظرا للدائرة المفرغة التى يعمل فيها الزارع · انه نظرا لفقره لا يستطيع شراء المعدات أو السماد الجيد .. انه يعمل بيديه فى زرع الارض التى حفرها بمعوله ، فضلا عن أنه هو وعائلته وماشيته لا يتمتعون بالطاقة التى تمكنهم من ممارسة العمل الشاق نظرا لسوء التغذية · وتتجسم نتيجة هذا كله فى سوء غلة الأرض ، اذ أنه فى هذه الحالة يكون فى حاجة الى كل انتاجه تقريبا من أجل اطعام عائلته وماشيته التى تثير الشعور بالشفقة ، فضلا على أنه لن يكون لديه فائض لبيعه ، الامر الذى يجعله يظل فقيرا .. بل ان فقره يزداد حدة نتيجة لما يتراكم عليه من ديون ، وكذلك نتيجة لما قد يواجهه من مناسبات تتطلب نفقات ضخمة مثل الزواج » .

وهناك تناقض فى عدد السكان فى كل من بورما والهند ، فمساحة الاولى تعتبر ٨/١ مساحة الاخرى ، ولكن عدد السكان بها لايزيد على ٢٠/١ من سكان الهند ، وهذا يعنى أن بورما تمارس فكرة تحديد النسل· وقد سألت احدى العاملات فى رانجون عن كيفية تحقيق ذلك فأشارت الى ان النساء فى بورما قد تحررن منذ عهد قديم يرجع الى أيام الملوك البورمانيين ·

وفى الواقع أنه فى وقت ما كانت فكرة تعدد « الأزواج » شائعة هناك ، لقد كانت النساء يخترن عدة أزواج ، فضلا على أنهن كن من أصحاب التجارة والمحاماة والطب وامتلاك العقارات .. وهذا يعنى أن عددا لا بأس به قد تزوج فى سن متأخرة على غرار النظام المتبع فى نصف الكرة الغربى ، وبذلك تخطين فترة الحمل المبكر ·

أما فى البنجال فى الهند ، فقد تأثرت تأثرا بالغا عندما رأيت الفتيات الصغيرات يحملن أطفالا ظننت أنهم اخوتهن أو أخواتهن ، ولكن فى الواقع انهم لم يكونوا كذلك ·· وقد علمت حينئذ أن متوسط سن الزواج عند

الفتيات فى هذه المنطقة هو ١٢ سنة ، وأن هذا يعتبر تحسنا كبيرا ، ففى القرن الماضى كان متوسط سن الزواج عشر سنوات !

وقد علمت فيما بعد أنه ليس هناك أى قانون يجعل الحد الأدنى لسن الزواج ١٤ سنة . بل ان أى شخص يحاول تطبيق ذلك بالقوة يعنى زيادة فى عدد الأطفال غير الشرعيين ، اذ أن الفتاة فى نظرهم تعتبر فى سن الادراك اذا بلغت العاشرة من عمرها أو أقل . وبذلك نرى أن معدل الخصب هنا «٣١٣» اذا قارناه بمعدل الخصب فى بريطانيا حيث يبلغ «٥٠» .

واذا نظرنا الى الوضع بالنسبة للأطفال الحديثى الولادة نجد أن من بين كل خمسة أطفال يموت طفل واحد قبل بلوغه سن عام ! ويبلغ عدد السكان فى هذه المنطقة ١٫٩٠٠ نسمة لكل ميل مربع .. ومتوسط سن الفرد ٢٣ سنة .

هذا ويقاسى ما يقرب من نصف عدد الأطفال الذين يتلقون العلم فى المدارس من سوء التغذية على حين أن ٨/١ عدد السكان من المرضى .

واذا نظرنا الى هذا الوضع نفسه فى البنجال الشرقية (باكستان) وجدنا أن كل دقيقة تشهد مولد ثلاثة أطفال وان كل ٩٠ دقيقة تشهد موت أحد هؤلاء الاطفال . هذا الى جانب ارتفاع نسبة الموتى بين الامهات . وانى أذكر أن احدى هؤلاء الأمهات توفيت فى سن السابعة عشرة بعد أن أنجبت ثلاثة أطفال ، أى انها بدأت فى انجاب الاطفال فى سن لا تتجاوز الرابعة عشرة بل ربما دونها .

وفى معظم الاحوال تموت الامهات نتيجة لاصابتهن بالانيميا الناتجة عن الملاريا وسوء التغذية ، ولان وسائل العلم الحديث لم تكن متوافرة فى ذلك الوقت .

وهناك مدرستان كلتاهما ذات نظريات متطرفة :

فالأولى تقول : ان هؤلاء الامهات لا بد أن يواصلن انجاب الاطفال لان هذه « ارادة الله » . على حين تقول الاخرى ان السبب الذى يجعل الأم تموت هى وطفلها هو أنها لم تحسن التصرف فى المواد الغذائية التى تحصل عليها .

ولقد كانت دهشتى عظيمة فى اليوم التالى عندما ذهبت فى زيارة لأحد الملاجىء التابعة لكنيسة الاروام الكاثوليك ، اذ وجدت هناك أطفالا تتردد أعمارهم بين الثانية عشرة والرابعة عشرة من ضحايا الثورة الاجتماعية ممن فقدوا ذويهم وكذلك أطفال الهنود المسيحيين .

ومما هو جدير بالذكر ان المكان الذى يعيش فيه هؤلاء الاطفال غاية فى الجمال ، ويبدو أنهم يتمتعون فيه بسعادة مطلقة . وبينما كنت أراقبهم وهم يلعبون ويمرحون ويترنمون بالاغانى الجميلة ، سألت الراهبة الامريكية التى تقوم على رعايتهم عن الاعمال والحرف التى تقوم بتعليمها للاطفال فلم تجب عن سؤالى ، وعندما كررت السؤال ، نظرت

الى بامتعاض قائلة : « لقد سمعت سؤالك فى المرة الاولى ، انه سؤال غير لائق ، اننا بطبيعة الحال ندربهم استعدادا للزواج ، اذ أننا ان لم نجعلهم يتزوجون فى سن الرابعة عشرة ، فربما لا يستطيعون العثور على زوج على الاطلاق » .

ثم أشارت الى فتاة على جانب كبير من الجاذبية لاتتجاوز السادسة عشرة من عمرها وقالت : « ان هذه الفتاة قد تخطت الرابعة عشرة وبذلك فاتتها فرصة الزواج ـ وستكون محظوظة اذا استطاعت العثور على زوج أرمل متقدم فى السن » .

وقد علمت أنه فى كل يوم أحد من كل أسبوع يتوافد على الملجأ عدد كبير من الشباب بصحبة ذويهم لالقاء نظرة على الفتيات اللاتى يقمن فى ذلك اليوم باستعراض أمام هؤلاء الضيوف كأية عملية تجارية أخرى . وربما تتم هذه العملية بطريق البريد فى صورة استفتاء .. وقد أطلعتنى الراهبة على نسخة من هذه الاستفسارات .

وفى عام ١٩٦٠ ، ألقى دكتور جوين سيمون أسقف ليانداف محاضرة فى الجمعية البريطانية قال فيها :

« ان تحديد النسل لابد أن يستغل كوسيلة لتجنب القرارات التى هى أكثر تعقيداً ، أو الحلول التى تنطوى على التضحية . فبالرغم من الزيادة فى عدد السكان فى العالم ، فان العلم والوسائل الميكانيكية الحديثة مازال فى استطاعتها أن تطعم هؤلاء السكان ، بل ان فى استطاعتها أن توفر لهم غذاء أفضل مما يحصل عليه الآن أكثر من ثلثى سكان العالم .. ان الغذاء فى متناول كل سكان العالم ولكن الصعوبة هى أنه متوافر على نطاق عالمى وليس فى نطاق محلى » .

يتضح من ذلك أن هذا الاسقف ، دكتور جوين سيمون لم يقرر ـ لشدة الاسف ـ ما يجب أن تتخذه أو لا تتخذه الامم المتحدة من اجراءات فى هذا الشأن .

الباب الثالث
مزرعة الانسان

من الامور التى لا تدع مجالا للشك أن الطبيعة اذا واجهت التحدى فى أية صورة كانت ، فانها تثأر لنفسها ، أما اذا وجدت معاملة حسنة وسياسة تتسم باللطف الى جانب أيد كريمة ترعى التربة ، وتحرص على حمايتها ، فانها تستجيب لمثل هذا النوع من المعاملة بل وتدر محصولات متزايدة بفضل التشجيع الذى تلاقيه .

ففى بريطانيا نجد اليوم مزارع ذات قدرة انتاجية تفوق القدرة التى كانت تتمتع بها أيام وليم الفاتح ، ذلك بالرغم من انها كانت تزرع بصفة مستمرة ، وظلت تخرج حاصلات تكفى اطعام الشعب مدة ٩٠٠ عام .

وفى لوزون بالفلبين تنتج مزارع الأرز محصولات هائلة برغم أنها ظلت تستخدم لمدة ٤٠٠٠ عام .

وخلاصة القول أن هناك فى جميع أنحاء العالم آثارا تذكر الفرد بكيفية تأر الطبيعة لنفسها .

ففى منطقة ما بين النهرين بالعراق .. تلك المنطقة التى كانت تعتبر جنة عدن ، نجدها اليوم صحراء قاحلة تعصف بها الرياح التى تغطى المدينة بطبقة كثيفة من الغبار .

وعندما وقفت على قمة جبل مونت البان بالمكسيك رامبا ببصرى الى أسفل حيث وادى «اوكزاكا» الذى كان فى وقت ما على درجه بالغة من الخصب مثل جنة عدن ، وجدته قد أصبح الآن منعزلا تماما ، ومليئا بالتلال ، حيث كان الازتيك يحرقون الغابات من أجل بناء معابد مدينة مونت البان المقدسة .

وقد كانت مدينة نيسابور بايران فى القرن الحادى عشر ، ابان مولد عمر الخيام ، واحة عظيمة يقطنها مليون ونصف المليون ، وقد اصبحت الآن لا تستوعب سوى ١٥ ألف نسمة فقط !

واذا نظرنا الى الجانب الآخر من المعادلة ، معادلة الطبيعة ، نجد أن مدينة قفصة بتونس ، تلك المدينة التى ورد ذكرها فى الاساطير اليونانية ، ما زالت حتى يومنا هذا لا تقل درجة خصبها عما كانت عليه فى الماضى ، بل نستطيع القول بأنها ما زالت حتى الآن أرض الرخاء ،

حيث تأخذ الاراضى المزروعة كفايتها من الماء ، فضلا على أن ارتفاع مياه الامطار فى هذه المنطقة الصحراوية يكاد يبلغ خمس بوصات . .

ومما هو جدير بالذكر أنه نظرا لما تتمتع به هذه المنطقة من ينابيع طبيعية وآبار ارتوازية حيث تستخدم المضخات لاستخراج الماء من عمق ١٠٠ قدم . . نظرا لذلك كله أصبحت هذه المنطقة تتمتع بوفرة كبيرة من المحصولات الزراعية ، من قمح وشعير وغير ذلك ، بل مازالت هـذه الارض تدر هذه المحصولات الهائلة ، وذلك بفضل مهارة الانسان وقدرته على توليد الطاقة الانتاجية الكامنة فى هذه التربة .

ما مدى اتساع رقعة الارض المتاحة للجنس البشرى ؟

ان مساحة سطح الكرة الارضية تبلغ ١٩٦٫٨٣٦٫٠٠٠ ميل مربع ، أو ١٢٥٫٩٧٥٫٠٤٠٫٠٠٠ فدان .

واذا نظرنا الى هذه المساحة نجد أن ٥٧٫١٦٨٫٠٠٠ ميل فقـط أراض ، وهى تشمل كذلك الـ ٤٫٤١٠٫٠٠٠ ميل مربع فى القطب الجنوبى . وبذلك نرى أن سبعة أعشار سطح الكرة الارضية تغطيه المحيطات .

وبالنسبة للمنطقة الزراعية ، قدر البروفسور الراحل «س.ب. فاوسيت» – وذلك منذ ثلاثين عاما – قدر مساحة الاراضى الصـالحة للزراعة بحوالى ٣٠٪ من مساحة الكرة الارضية أو ١٧٫٠٠٠٫٠٠٠ ميل مربع . . ونوه البروفسور الى ان ٣٠٪ أخرى ذات طاقة انتاجية بالرغم من أنه لا يمكن زراعتها ، وهذه النسبة الاخيرة تشمل الغابات والاحراج وسفوح التلال ، أما الـ ٤٠٪ الأخيرة فقد اعتبرها صحارى سواء أكانت حارة أم باردة .

ويمكننا تناول هذا الموضوع من زاوية أخرى . فنستطيع القول بأن – ١/٥ سطح الكرة الارضية يتكون من جبال وهضاب ، اما أن تكون جرداء تماما أو ذات علو شاهق لا تصلح للسكن أو الزراعة .

أما الخمسـان الثانى والثالث فيشـملان المناطق ذات الظـروف المناخيـة التى تساعد على انتـاج محصولات وافرة . واذا نظرنا الى الخمس الرابع نجد أنه يشمل المناطق التى يغطيها الثلج والجليد ، مثل (شمالى كندا والاسكا والاتحاد السوفييتى) والخمس الاخير ليس أكثر من منطقة يكسوها القليل من العشب .

ومهما يكن من أمر فنستطيع القول بصفة عامة بأن ٣٠٪ من سطح الكرة الارضية – أى ١١٫٠٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠ فدان – صالحة للزراعة ، أى بنسبة ما يقل عن أربعة أفدنة للشخص الواحد ، وذلك فى تقديرنا الحالى لنسبة كثافة السكان فى العالم .

أما ما يخص الفـرد الواحد من الاراضى المزروعة فعـلا ، والتى تستخدم فى الوقت الحاضر ، فهو ما يقل عن ١٫٢ من الفـدان ، ولكن هناك بالاضافة الى ذلك مناطق دائمة تستخدم لسد حاجة الإنسـان بنسبة ما يزيد على فدانين لكل فرد ، وهى المراعى والسهول . .

وبمعنى آخر يمكننا تقسيم سطح الكرة الارضية على أساس أن ما يخص كل فرد من هذه المساحة ١٢ فدانا على الوجه التالى :

٢ر١ من الفدان صـــالحة للزراعة و ١ر٢ من الفدان من المراعى و ٤ر٣ من الفدان غابات و ٣ر٥ من الفدان غير قابلة للزراعة .

واذا تذكرنا أن المناطق المزروعة لا بد أن تنتج محصولات صناعية مثل القطن والجـوت والمطاط .. نستطيع القـول (فى المتوسط) بأن المنطقة الزراعة (محدودة) المدى . وفى استطاعتنا أن نوجه كل طاقتنا ومهارتنا لرعاية الاراضى التى فى حوزتنـا ، الاراضى التى نسـتطيع أن نستخرج منها قوتنا ، بدلا من اكتشاف مناطق أخرى أو تحويل جـزء من المناطق التى تغطيها البحار الى أراض زراعية .

ومن الناحية (الثانية) العلمية نجد أنه لا يوجد على سطح الكرة الارضية جزء لم يكتشف بعد ، أى أنه فيما يتعلق بالجغرافيا الطبيعية ليس هناك احتمال للعثور على آثار تدل على وجـود أرض جـديدة ، وبمعنى آخر ليس هناك « آفاق جديدة تحل محل الآفاق القديمة » كما كان الوضع بالنسبة للقرن التاسع عشر .

ولكن كان من الممكن تأجيـل أسـوأ التحـذيرات التى أدلى بها مالثوس .. فقد أصبح من الممكن اطعـام الشعوب الآخذة فى التضاعف فى بلدان أوروبا الصناعية (أو ترحيلها عن طريق الهجرة) بفتح برارى الولايات المتحدة ، وكندا ، وأصقاع أمريكا اللاتينية ، وفيافى افـريقية الجنوبيـة ، والاراضى والمراعى الواسعة فى اسـتراليا ونيوزيلندة . لذا وجب أن نتدبر أمرين فى ظل هذه الحدود :

١ ــ توسيع رقعة الارض التى تصلح للزراعة .

٢ ــ زيادة المحصولات التى يمكن الحصول عليها من المناطق التى فى حوزتنا .

غير أن هناك اعتبارا ثالثا له أهميته ، وهو اننا لا بد أن نحافظ على الاراضى الزراعية التى فى متناول أيدينا ، ونحرص على رعايتهـا ، حتى لا تتحول من أراض صالحة للزراعة الى أراض جرداء ، نتيجة لاجهاد التربة وتعريضها للأخطار ، بل أيضـا عن طريق اقامة الطرق الداخلية التى تشقها داخلها أيدى أناس آخرين .

ان ارتفاع مستوى المعيشة يصحبه عادة منافسة عنيفة .. وذلك من أجل اقامة مزيد من المبانى السكنية ، والطرق ، والمدارس ، والملاعب ، والمطارات المدنية ، والقواعد الجوية العسكرية وغير ذلك .

لقد نسـينا كيف ان عـدة ملايين من الافدنة ــ حتى فى جـزيرة صغيرة نسبيا مثل بريطانيا ــ قد دفنت تحت «الاسفلت» .. لقد ابتلعت لندن فى سبيل توسيعها جزءا من أفضل أنواع التربة فى الدولة ، حيث كانت الحـدائق الواسـعة التى ساعدت فى وقت ما على توفير الغـذاء

للمدينة بأكملها .. ولقد نسينا كذلك المزارع الواسعة التى استبدل بها حاليا طريق ممهد ، فضلا عن المساحات الواسعة التى أقيمت فيها المطارات .

وقد كان من نتائج ذلك أن انتشرت المدن ، فمنذ أربعين عاما كان فى العالم ٢٤ مدينة ، يسكن كلا منها ما يزيد على مليون نسمة . ومنذ ثلاثين عاما ازداد عدد هذه المدن حتى أصبح ٣٩ مدينة . ومنذ عشرين عاما طرأت زيادة طفيفة على هذا الرقم بحيث أصبح ٤١ مدينة .. أما اليوم فقد بلغ عدد هذه المدن ما يربو على ٨٠ مدينة ، وقد كان العدد الكلى للسكان فى هذه المدن يساوى عدد السكان فى الولايات المتحدة .

من هذا نرى أن ضغط السكان لم يكن بالنسبة للمواد الغذائية فقط . بل كان أيضا بالنسبة للمناطق التى لا بد أن تنتج هذه المواد .

واذا نظرنا الى هذه المشكلة من حيث أن فدانا واحدا من الارض يلزم توفير المواد الغذائية للشخص الواحد ، فان نسبة زيادة السكان فى الوقت الحاضر تعنى أننا لا بد أن نقوم بزراعة ٤٥ مليون فدان فى العالم .

وهذه النسبة هى ضعف المساحة المزروعة فى بريطانيا العظمى ، وهى لا تنتج سوى نصف كمية الطعام اللازمة لاطعام الشعب البريطانى .

واذا أخذنا فى اعتبارنا الجهود المضنية التى بذلناها أيام الحرب عندما حاولنا زيادة رقعة الأراضى المزروعة باستقطاع جزء من الأراضى المتاخمة للمناطق الآهلة بالسكان - مثل ملاعب الجولف وما شابه ذلك - فاننا سوف ندرك مدى الصعوبة التى تواجهنا لتوسيع رقعة الاراضى الزراعية ، وهذا بدوره لا يعنى - كما سيوضح هذا الكتاب فيما بعد - أنه ليس فى العالم مزيد من الافدنة الصالحة للزراعة ، ولكن هذا يعنى أننا سوف نستخدم ذكاءنا ومهارتنا للحصول على مثل هذه الاراضى .

وكما لم تتحقق تكهنات « مالتوس » فى القرن التاسع عشر نتيجة لفتح أراض جديدة ، فان التفاؤل الذى أعرب عنه العلامة الشهير سير « وليم كروكس » بصفته رئيسا للجمعية البريطانية مع بداية هذا القرن قد أحبط .. لقد تكهن بأن الامدادات الغذائية لن تكفى سد حاجة الاعداد المتزايدة من السكان وذلك لعدم توافر النترات . وقد كان يتحدى زملاءه الكيمائيين بأن يجدوا وسيلة للمحافظة على خصب الأرض ، وفى غضون خمسة عشر عاما استطاع « هابر » أن يكسب هذا التحدى عندما اكتشف طريقة لاستخراج النتروجين من الجو ، وفى الوقت نفسه ومنذ حوالى ٦٠ عاما مضت أدخل العلم عنصرا جديدا وهو تطوير علم الوراثة ، ودراسة السمات الوراثية ، التى حولت فن رعاية النباتات والحيوانات الى نوع من العلوم الحديثة ..

وفضلا عن ذلك فقد أفسح العلم مناطق واسعة لزراعة مختلف أنواع النباتات التى لم تكن تزرع بها من قبل ، نظرا للظروف الجوية التى تخضع لها هذه المناطق ، وبذلك أمكن انتاج مواد غذائية فى ظل ظروف جوية كانت تحول من قبل دون زراعة هذه المواد .

ولنأخذ على سبيل المثـــال القمح : ففى أيام « كروكس » كانت الاحوال الجوية تتحكم فى تحديد مساحة الاراضى المزروعة قمحا فى كندا فقد كانت هذه المساحة تبلغ ٠٠٠ر٠٠٠ر٤ فدان ارتفعت فى ثلاثينيات القرن التاسع عشر الى ٠٠٠ر٠٠٠ر٢٧ فدان · كمـــــا أصبحت منطقة البرارى الواسعة التى كانت تعتبر من المناطق الجافة من أفضل المناطق الصالحة لزراعة القمح عموما ·

أما فى استراليا فقد ارتفعت رقعة الاراضى المزروعة قمحـــا من ٠٠٠ر٠٠٠ر٥ فدان الى ٠٠٠ر٠٠٠ر١٦ كما ارتفعت هـــذه المساحة فى الارجنتين من ٧ ملايين فدان الى ٢٠ر مليون فدان ·

وفى كندا ــ ومنذ ثلاثينات القرن التـــاسع عشر ــ امتدت رقعة الاراضى الصالحة لزراعة هـــذا النوع من الحبوب حتى شملت منـاطق « بحر السلام » التى فى الشمال ، والتى كانت تدخل فى نطاق المناطق التى من « المستحيل » زراعتها ، وهى شمال خط عرض (٥٥) ، لقد امتدت المحصولات الزراعية الى ما بعد المناطق التى كانت تعتبر « حدودا طبيعية » منذ ستين عاما ·

ومما هو جدير بالذكر أنه فى امكاننا ــ حتى فى حالة عدم وجود مثل هذه الاكتشافات الجوهرية الحديثة ــ توسيع المناطق الحالية لانتاج المواد الغذائية ·· وهناك على الأقل ست وسائل لتحقيــق ذلك ، ففى امكاننا أن نفعل الآتى : ــ

١ ــ توسيع رقعة الاراضى المزروعة ·

٢ ــ توفير مزيد من المياه للمحصولات وذلك لمساعدتها فى فصل الجفاف ·

٣ ــ توفير رعاية أفضل المحصولات وذلك بتزويدها بالأســـمدة الصناعية والوسائل الطبيعية ·

٤ ــ زراعة أنواع جديدة من النباتات وتربية الماشية طبقا للوسائل الحديثة وذلك لتوفير محصولات أفضل وتعمير هذه المناطق ·

٥ ــ رفع مستوى الزراعة وتزويد الفلاحين البـدائيين بأنواع أفضل من الماشية والأغنام ووسائل النهوض بالأرض ·

٦ ــ النهوض بمستوى كفايتنا باستخدام المحصولات والاغنام التى فى حوزتنا ، وكذلك كفايتنا فى التصرف فى نتائج هـــذه المحصولات والأغنام ·

واذا نظرنا الى حاجاتنـــا الى مزيد من الافدنة لامســـاك رمق ما يستجد من أفراد نجد انه يجب علينا ان نقوم بزراعة ٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ر١ فدان أخرى قبل حلول عام ١٩٨٠ ــ اذ أن مجموع مساحة الارض المزروعة فى العالم فى الوقت الحالى يبلغ ٠٠٠ر٠٠٠ر٣٥٠ر٣ فدان وقد حدد الروس مساحة الارض التى من الممكن زراعتها فى العالم أجمع بـ ٠٠٠ر٠٠٠ر٤٠٠ر٤

فدان طبقا للخريطة التى قاموا باعدادها ٠ ومن ذلك نرى ان التـــربة متوافرة ولكن عنصر الزمن هو الذى لا يشجع على الاقدام ٠

ومهما يكن فان مثل هذه الارقام التى تعطى لتحديد مساحة الافدنة التى يمكن زراعتها انما هى فى الواقع أرقام خداعة لا تمت الى الحقيقة بصلة كالارقام التى تعطى لمقدار ما يخص كل فرد من المواد الغذائية ٠

وقد كتب البروفسور « ددلى » معلقا على ذلك قائلا : ــ

« انه من العسير الحصول على مقارنات دقيقة فى هذا المجـــال ، والرقم الكلى الذى ورد هنا بالنسبة للولايات المتحدة يتضمن « الاسكا » أما الرقم الخاص بالمناطق التى تزرع بالفعل فقد وضع على أساس الاراضى والمحصولات والاعشاب التى طرأت عليها التحسينات ٠

وجدير بالذكر ان الاراضى المزروعة فى كندا والولايات المتحدة تنتج فائضا يزيد على احتياجات البلاد الداخلية . أما الرقم الذى ورد حول الأراضى القابلة للزراعة فى كندا فقد وضع على أساس التقدير الرسمى الذى ظهر منذ بضعة أعوام ٠٠

اما اذا نظرنا بالنسبة الى الوضع لكل من الهند واليابان فنجد أن صغر مساحة الأرض المزروعة تعتبر من المشكلات الكبرى التى تواجهها ٠ وليس من العسير على اليابان أن تتمكن من اطعام شعبها بنفسها ، نظرا لما يتمتع به أهلها من مهارات فنية ، ومضاعفتهم للمحصولات التى تعتمد على الأرز والحبوب الغنية بالمواد البروتينية ، الأمر الذى يجعلها تصل الى أعلى المستويات المعيشية ٠٠ كما أن البحار تزودها بالاسماك التى تعتبر المصدر الرئيسى للبروتينات ، وبذلك تدخل اللحوم والالبـــان فى مرتبة الكماليات كما يعتبر انتاجها بمثابة مضيعة للجهد .

وعلى ضوء الوضع الراهن فى العالم اجمع ، لن تكون هنـــاك أية فائدة معينة اذا حاولت الدول التى قطعت شوطا كبيرا فى التقدم ــ مثل الولايات المتحدة ــ زيادة رقعة الاراضى المزروعة وما تدره من محصولات ٠٠ ولن يؤدى ذلك الا الى انتاج « فائض من المواد الزراعية » التى لن تؤدى بدورها الا الى مضايقة الزارعين نظرا للتـــلاعب الذى يدور حول أسعارها فى الاسواق الحرة ٠

وقد اضطرت الولايات المتحدة ، نظرا لذلك الى اتباع سياسة أدت تدريجيا الى افساد مساحات واسعة من الأفدنة الصالحة للزراعة ٠٠ لقد خسرت الحكومة ٢٫٤ ملايين دولار بتدميرها لمحصول البطاطس او بيعه بأسعار مخفضة للغاية ٠٠ وقد قامت الحكومة بتغذية الخنازير بما لا تقل قيمتـه عن ملايين الدولارات من عنب كاليفورنيـــا . كما بلغت قيمة المواد الغذائية التى أنفقتها فى هذا المجال حوالى ٤٫٠٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠ دولار ٠

وفى عام ١٩٥٧ كانت الصوامع والشون تكاد تنفجر من كثرة ما بها من المواد الغذائية ، فقد كانت تحتوى على ١١ مليون بالة من القطن ،

و ٩٠٠ مليون كيلو من القمح ، و ١٥٠ر١ مليون كيلو من الشعير ، و٩٠ مليون رطل من الزبد و١٠٠ مليون رطل من اللبن الجاف ٠

وقد وصلت كمية فائض الحبوب الى ٢٠٠٠ مليون كيلو ، وكانت كندا فى الوقت نفسه تملك ٧٣٠ مليون كيلو من القمح ٠

وخلاصة القول أن كندا والولايات المتحدة كانتا تملكان ٣/٤ المنتجات الزراعية المخزونة فى العالم أجمع ٠

ومن ذلك نرى أننا أردنا زيادة رقعة الاراضى المزروعة ٠٠ فالحل هو اننا لا بد من توفير منتجات هـذه الاراضى حتى تكون فى متناول الشعب الذى هو فى حاجة اليها بطريق مباشر ٠٠ او اننا لابد من أن نقوم بتغيير وسائل التسويق والتوزيع تغييرا كليا وجزئيا ٠

ومن الواضح أن أفضل الحلول الفعالة فى هذا المجال هو العمل على زيادة المحصولات التى تدرها الافدنة التى تمت زراعتها بالفعل ٠ وقد سعت منظمة الاغذية والزراعة الى تأكيد ذلك عن طريق توجيه اهتمام الزارعين فى جميع أنحاء العالم الى مزايا زراعة الاصناف التى تدر محصولات وافرة ، وكذلك عن طريق تشجيع البحوث التى سوف تؤدى الى تطبيق واتباع افضل الوسائل المحلية فى سبيل تحقيق ذلك ٠

كما أن هناك عدة عوامل مجتمعة ، هى الرى وطرق الرعاية السليمة والنهوض بوسائل الزراعة ، فى استطاعتها أن توفر للزارعين حيزا أفضل فى مقابل ما يبذلونه من جهود ، كما توفر للشعب المزيد من منتجات بلاده المحلية ٠

ويتمثل ذلك بوضوح فى افغانستان عندما لجأت الى منظمة الأغذية والزراعة، لانقاذ قطعان الماشية التى أخذت تموت بنسبة ٤٠٪ فى شتاء كل عام ، نتيجة لنقص المواد الغذائية الذى نجم عن زيادة عدد الأغنام بالقدر الذى يفوق مدى ما تستوعبه المراعى من هذه القطعان ٠

وقد ناشدت افغانستان المنظمة الدولية باتخاذ اجراء فى هذا الصدد ، الى جانب النظر بعين الرعاية الى حالة الزراعة فى أفغانستان بصفة عامة ٠٠ بل لم يقتصر الأمر على هذه الصورة ، فقد سارعت منظمة الصحة العالمية بارسال مندوبيها الى البلاد لتنفيذ خطة حصر وباء الملاريا بين هندوكوش ونهر اموداريا ٠ وقد نجحت هذه الخطة نجاحا منقطع النظير ، وأمكن تطهير المنطقة من البعوض كما أمكن تأهيلها بالسكان ، وأصبحت من جديد من أفضل المناطق الزراعية التى تنتج عدة محصولات من بينها القطن ٠

وكان من نتيجة النجاح الذى حققته زراعة القطن أن أنشىء مصنع لغزل القطن ، ودخل القطن بدوره فى قائمة المنتجات المصدرة ٠

الباب الرابع
كثافة السكان

فى الأعوام التى سبقت الثورة الصناعية كان الزارع يتمتع باكتفاء ذاتى ، فبفضل مائة الفدان ــ او نحو ذلك ــ التى يملكها كان يستطيع أن يعول نفسه ، وأن يعول عائلته المكونة من ستة أو سبعة اطفال ، وكذلك الأشخاص المسنون المتقاعدون الذين يعتمدون عليه فى معيشتهم ، بل وربما استطاع ايضا ان يستأجر خادما بمرتب لا بأس به ٠

نعم لقد كان يسد الجزء الأكبر من احتياجاته واحتياجات عائلته من هذه الارض ٠ فقد كان يحصل منها على الخشب او الحطب من أجل الوقود الذى يلزمه ، كما كانت زوجته تقوم بغزل صوف الاغنام . فضــــلا عن حصولهم على طعامهم من الخيرات التى تدرها الارض ٠

من ذلك نرى انه لم يكن ينفق الا القليل النادر ، اللهم الا اذا كان فى حاجة الى شراء بعض الاوانى والادوات المنزلية ، وبرغم أنها حياة شاقة فانها مترابطة متماسكة ٠

واذا نظرنا اليوم الى مائة الفدان هذه على مستوى بريطانيا نجــــد انها تسد حاجة ١٠٠ شخص خارج حدود هذه الارض فى المدن والمصانع من الطعـــــام ، بل ان الزارع فى استطاعته أن يسد حاجة مزيد من هؤلاء وذلك عن طريق اعادة توزيع الاموال التى يحصـــــل عليها نتيجة لبيع منتجاته ٠٠ انه يساهم فى دفع مرتب ساعى البريد الذى يقوم بتوزيع منشورات وزارة الزراعة ، والشخص الذى يقوم بجمــــع الضريبة على الدخل ، وغيرهما ممن يقومون بمثل هذه الخدمات العامة التى يعتمد عليها الزارع فى عمله ، والتى تتضمن ايضا نصيبه فى المرتب الذى يتقاضاه رئيس هيئة ادارة الطاقة الذرية التى عن طريقها استطاع ادخال الكهربا فى أرضه ، وبما أن مزرعته قد أصبحت مزرعة ميكانيكية الى حد كبير ، فانه يقوم كذلك بعول العمال الكيمائيين الذين يمدونه بالأسمدة الصناعية التى يحتاج اليها كل عام هو وغيره من الزارعين البريطانيين الذين يبلغ عددهم نحو ٣٠٠ ألف زارع ٠ وتقدر كمية الاســــــمدة الصناعية التى يحصلون عليها فى العام بـــ ٥ ملايين طن ٠

وكان من آثار تطبيق الثورة الميكانيكية فى الزراعة فى بريطانيا زيادة الانتاج فى الفترة ما بين سنتى ١٩٣٥ ــ ١٩٦٠ بنسبة ٦٦٪ ، وقد ازداد عدد الجرارات من ٥٢٠٠٠ فى عام ١٩٣٨ الى نصــــف مليون بعد مرور عشرين عاما ، فضلا عن أن الخيول التى كانت تعمل فى الأراضى البريطانية

فى عام ١٩٣٩ والتى كانت تبلغ ٦٦٨٫٠٠٠ قد قل عددها حتى أصبح ١١٤٫٠٠٠ فى عام ١٩٥٦ ٠

وفى غضون عشرين عاما ازداد عدد جامعى الحصاد من ١٥٠٠٠ الى ٣٢٫٩٠٠ شخص ، كما ازداد عدد ماكينات صنع الألبان حتى أصبحت ١١٠٫٠٠٠ ماكينة فضلا عن أن الكهربا استخدمت فى جميع المجالات داخل المزرعة ٠

هذا وتستوعب الاراضى التى تم تحسينها واصلاحها فى بريطانيا العظمى والتى تقدر مساحتها بـ ٢٨٫٥٠٠٫٠٠٠ فدان ٠ تستوعب فى الوقت الحاضر من الأيدى العاملة ما يقل عن ٨٠٠ ألف شخص بصفه منتظمة ، كما تساهم بـ ٥٥٪ من كمية الغذاء اللازمة لاطعام ٥٦ مليون شخص ٠

ولكننا اذا نظرنا الى مائة الفدان هذه بالنسبة الى الهند نجد أن الاراضى التى ترجع الى مائتى فدان مقسمة حاليا بين خلفاء الحكام القدامى ، وهذه المساحة التى تقدر بمائة فدان لا بد أن تدر نتاجا يكفى اطعام مائتى اشخص ممن يعيشون عليها .

وجدير بالذكر ان الوسائل التى تستخدم فى سبيل تحقيق ذلك تعتبر أكثر بدائية من تلك التى كانت تستخدم فى سنوات ماقبل الثورة الصناعية فى بريطانيا ٠

هذا الى جانب ان المحصولات لاتكاد تكفى امساك رمق هؤلاءالاشخاص وجعلهم وحدة متماسكة روحا وجسدا ، اذ أن الفلاح عليه أن يدفع نفقات الزراعة ثم بعد ذلك يعطى المالك ٧٠٪ وربما يسدد ٢٠٪ أخرى للاشخاص الذين يقرضونه ما يلزمه من أموال ، اما الـ ١٠٪ المتبقية من المحصول الهزيل فلا تكاد تمسك رمق أفراد العائلة الذين يناضلون من أجل البقاء ٠

ونظرا لضآلة الدخل الذى يعود عليه من الأرض ، فانه لا يستطيع الحصول على بذور أفضل أو آلات أفضل ، الأمر الذى يجعله غير قادر على زيادة المحصولات ، بل ان المشكلة اضخم من ذلك بكثير ، فانه ان لم يعمل على رى أراضيه فانه سوف يدخل ضمن تسعة الأعشار من العمال الزراعيين الهنود الذين لا يجدون عملا فى الارض لمدة تسعة أشهر فى العام ٠

واذا أخذنا فى اعتبارنا الفلاحين فى جنوب شرقى آسيا بصفة عامة نجد ان الفلاح يظل عاطلا تماما مدة لا تقل عن ثلاثة أشهر كل عام ٠ وبما ان عدد الفلاحين فى هذه المنطقة يبلغ ١٫٦٠٠ مليون فلاح ، فان هذا يعنى أن هناك ١٨٫٠٠٠ مليون يوم ضائعة تماما ٠

واذا أضفنا الى ذلك عدم كفاية العمل الى البطالة فان هذا الرقم يكاد يصل الى ٤٠٫٠٠٠ مليون يوم ٠٠

ان هذا لايعتبر فراغا ناتجا عن الكسل ، وانما هو مفروض بحكم الضرورة ٠

وبرغم ان البعض يأسف لأن الافراد يتركون الارض فان الاجابة على ذلك هي أن في بريطانيا وفرة في المحصولات مع قلة في الاشخاص.. فضلا عن اننا نستطيع بـ ٥٪ من القوى العاملة التي تعمل في الارض أن نطعم ٣٠ مليون فرد على الاقل من نتاج الارض ، وان نساعد العمال الصناعيين على انتاج البضائع لتصديرها وشراء الـ ٤٥٪ الأخرى من كمية الطعام التي تلزمنا .

وعلى هذا الاساس تزداد الكفاية ..

وبينما كان متوسط غلة الفدان من القمح في بريطانيا ٣٤ وحدة في عام ١٩٣٩ أصبح الآن ٤٨ وحدة ، وهذه النسبة تبلغ أكثر من نصف غلة الفدان من القمح في كل من الولايات المتحدة وكندا .

وفي الفترة نفسها ازدادت كمية اللبن التي يمكن الحصول عليها من بقرة واحدة في بريطانيا بنسبة ٢٥٪ ، كما ازدادت نسبة التناسل بين الأغنام بمقدار يزيد على ٧٪ ، وقد بلغ عدد الماشية الزراعية في المملكة المتحدة ما يقرب من ١١٪ مليون من الابقار ، و ٢٧٪ مليون من الدواجن ، ويبلغ رأسمال هذه الماشية حوالي ١٠٠٠ مليون جنيه . وهي تماثل كذلك قيمة ما تنتجه هذه الحيوانات .

وفي بريطانيا ، حيث نجد جرارا واحدا لكل أربعين فدانا يدر الفدان من القمح أربعة أضعاف ما يدره الفدان من القمح في الهند حيث نجد جرارا واحدا لكل ٢١٫٥٠٠ فدان .

وفي الواقع أن في الهند بقرة لكل فرد ، ولكن هذا لا يدعو الى السرور بل الى الاسف ، لان تلك الأبقار المقدسة تأكل من الطعام أكثر مما يأكله الاهالي هناك ! .. ان هذه الأبقار لا تذبح أو تؤكل فضلا عن أن لبنها لا يحتوي على أية فائدة .. بل يعتبر خطيرا وضارا .

اننا لابد ان ندرك الحاجة الماسة الى ادخال النظم الميكانيكية في الزراعة ، وفي اعتقادي أن الزراعة ليست صناعة فحسب ، وانما هي سبيل من سبل الحياة .. وفي اعتقادي أيضا أن ٥٪ من العمال الزراعيين في بريطانيا أفضل من ٨٠٪ منهم في الهند .

ومن المشاهد التي تدل على مدى تأخر الزراعة في أحد البلاد الاستوائية منظر الجمال والثيران المعصوبة العينين التي تقوم باستخراج الماء من الارض لري التربة ، التي عن طريقها يحصل الانسان والحيوان — على قدم المساواة — على قوت يومه ، وبرغم ان هؤلاء الفلاحين على درجة بالغة جدا من الفقر والضعف الناتج عن سوء التغذية ، فانهم يستخدمون أكثر أنواع القوى ضياعا في العالم وهي « القوى العضلية » .. انهؤلاء الأفراد ، وغيرهم كثيرون في العالم أجمع ، سرعان ما يفقدون طاقتهم الحرارية نظرا لانهم يستخدمونها بصورة لا تمت الى الاقتصاد بصلة . ألا وهي صورة المجهود العضلي .. وبالرغم من أننا نشيد بالمجهود العضلي فانه على درجة مؤسفة من عدم الكفاية .. ان استنفاد هذا المجهود العضلي ان كان يدل على شيء فانما يدل على سوء التغذية بالنسبة للتربة والمحصولات

٠٠ بل ان الفلاح الذى يمارس هذا النوع من المجهود يقاسى هو وعائلته من سوء التغذية الذى يؤدى فى كثير من الأحيان الى تضورهم جوعا .

ومنذ أن اصبح الانسان صانعا للآلات اخذ يحاول استغلال وحداته الحرارية بطريقة أفضل ، وذلك بتطبيق بعض الاجراءات والنصائح التى تؤدى الى نتائج أفضل من استخدامه لقواه العضلية بطريقة مجردة ٠

فعند ما بدأ يصنع العجلة وفرت عليه المجهود الذى كان يبذله فى جر الزحافة ٠ وكذلك الحال بالنسبة للاشرعة التى زود بها قواربه ، والتروس التى قام باختراعها ، الى غير ذلك من الآلات التى كانت فى كل مرة تعتبر بمثابة اعتراف بأن هناك تعويضات ضخمه من أجـل الجهود التى تبذل فى هذه المجالات ٠

ويمكن القول بأن أعظم نجاح تحقق فى غضون مائتى العـام الماضية انما هو تحرير الانسان ، أو بعض الافراد على الاقل ، من عبودية استخدام القوى العضلية ٠

ومما هو جدير بالذكر ان ما يزيد على ٧٠٪ من القوى المحركة فى آسيا قوى عضلية انسانية كانت أو حيوانية ٠٠ أما فى الولايات المتحدة فان ٤٪ فقط من القوى المحركة تدخل فى نطاق القوى العضلية ٠

ان العامل العادى فى الدول الغربية اليوم فى امكانه ان يتحكم فى قوى تعادل ١٠٠ فرد من هؤلاء العبيد الذين يخضعون لسيطرة القوى العضلية ٠٠٠ انه يقوم بتوجيه دفة العمل بوسـاطة ما لديه من آلات ميكانيكية وهو جالس فى مكتبه فى أحد المصانع الحديثة ٠

ومن ابرز الامثلة فى نظرى على مدى الفرق بين المجهود العضـلى والوسائل الحديثة ـ التجربة التى حدثت فى جاوة ، تلك التجربة التى لن أنساها على الدوام والتى كان مسرحها جبال جاوة الوسطى ٠٠ لقد كان الاطباء وصندوق الطفولة التابع للامم المتحدة ، قد قاموا فى الآونة الاخيرة بتطهير هذه المنطقة من المرض الجلدى الرهيب الذى اجتاحها ٠٠ وهـذا النوع من المرض لا ينتقل عن طريق الاتصـال الجنسى وانما عن طريق الجروح ٠

وقد انتشر هذا المرض بين جميع الافراد من العمال الذين يشتغلون وهم حفاة الاقدام فى الحقول ، الى الاطفال الذين يمتصون صدور أمهاتهم التى أصابها المرض ٠٠ وهذا المرض لا يكتفى باهلاك الجسد فقط ، بل انه يؤدى كذلك الى القضاء على روح الفرد الذى أصابه ٠٠ وعند ما بدىء فى التفكير في استخدام البنسلين لمعالجة هذا المرض بحقنة واحدة لم يكن لدى الافراد أية مقاومة أو أمل فى الشفاء ٠٠ ولكن شعب هذه المنطقـة قد تمكن فى الوقت الحاضر من التخلص من هذا المرض ، وذلك بفضل جهود الأمم المتحدة والعلم الحديث ٠٠ وما أن برىء هذا الشعب من مرضه حتى بدأ أول ما بدأ بالعمل من أجل انتاج مزيد من الطعـام ، وزراعة مختلف أنواع المحصولات وخاصة الأرز الذى لم يكن فى امكانهم زراعته فى المناطق الجبلية ذات الطبيعة البركانية ٠٠ كما قرروا كذلك شـق

ترعة عند حافة هذه الجبال حتى يتمكنوا من رى حقول الأرز القائمة عند سفوحها ·

وفي غضون عام أمكنهم أن يتقدموا مسافة ميلين ونصف الميل داخل الجبال البركانية مستخدمين في ذلك عضـــلاتهم الى جانب آلات ومعدات بدائية للغاية · وعندما كانت تعترض طريقهم صخرة ضخمة كانوا يقومون بتفتيتها الى قطع صغيرة حتى يتمكنوا من حملها على رءوسهم فى السلال المخصصة لذلك ·

ومما يدعو الى الغرابة انهم لم يستخدموا المتفجرات فى عملياتهم هذه لانه ليس فى استطاعتهم الحصول عليها ·

ان الأيدى العاملة أرخص بكثير من هذه المتفجرات · وكان من نتيجة ذلك أن العملية التى كانت لا تكاد تستغرق بضع ساعات أو أيام لاتمامها أصبحت تستغرق عدة أشهر من المجهودالعضلى المضنى· وعندما اعترضت على ذلك متسائلا لم لا توفر لهم الآلات التى تمكنهم من الحصـــول على الغذاء الذى هم فى أمس الحاجة اليه وعلى وجه السرعة ؟ ·· اجابنى خبير حكيم من خبراء الامم المتحدة مؤنبا اياى قائلا :

« حاول أن تفهم أن هذه القناة قناتهم · ولأول مرة سوف يكون لديهم شىء لا يدينون به للمرابين ·· اننا اذا قدمنا لهم اى نوع من المساعدة فانهم لن يدركوا اطلاقا أن هذه المساعدة مجردة غير مشروطة·· بل انهم سيظنون انها صورة أخرى من صور الربا ·· ان علينا انتركهم ليحققوا أهدافهم بأنفسهم . فقد يثقون من ثم فى المساعدة التى نقدمها لهم » ·· وقد وجدت ان هذا هو الحقيقة عينها ·

فعندما ارتفع مستوى الآلات التى يستخدمها الانسان أصـبح فى امكانه أن يكون سيدا للبيئة التى يعيش فيها ، ومتحكما فى الوسائل التى تمكنه من سد المطالب المتعددة لابناء جنسه ·. ولكن هنـــاك أشـياء اعترضت طريقه ووقفت منه موقف التحدى مثل الآفات والفيضانات والطوفان·، لكننا تمكنا فى الآونة الاخيرة من وضع حد لهذه الاشياء ، وذلك عن طريق ما نطلق عليه « العلوم الغربية » ·

اننا نحن الذين ننتـمى الى أصـــل أوروبى ·، نحن الذين نعتبر أنفسنا وارثى الحضارة اليـونانية ــ الرومانية . وأصـحاب العقيدة المسيحية ــ اليهودية ــ ننسى أن هؤلاء أصحاب عقائد ترجع الى عهود طويلة الاجل .. فبينما كان خالقو « العلوم الغربية » يجولون فى الاحراج كانت هناك حضارات غنية مستنيرة فى كثير من الدول التى نسميها الآن بالدول المتخلفة (أى الدول « المتأخرة ») وبرغم اننا نسميها الآن بهذا الاسم ، ومهما يكن ما نقدمه لهم حاليا من خدمات فاننا فى الواقع ندين لهم بالكثير .

ان الحضارة المادية التى نجنى حاليا ثمارها ونفخر بتفوقنا فيها لا ترجع فى تاريخ الانسان الى أقدم من الولايات المتحدة .. لقد عاصر جيمس وات بنجامين فرانكين وكان صديقا له .. وبينما كانت حركة

الـ « بوستون لي بارتي » دائرة كان « وات » يقوم بصنع آلته البخارية التي صحبت معها وفرة في الانتاج . بل لقد مكنتهم كذلك من الحصول على فائض من الانتــاج التجارى .. ان الفائض يعنى أن المصنع فى امكانه أن يصدر السلع لشراء الغذاء والمواد الخام لاطعـــام الافراد والماكينات على السواء . انه فى امكانهم توجيه « بعثات تحت ستار نشر الحضارة » لاستعمار الدول التى هم فى حاجة الى المواد التي بها ، أو فتح أسواق جديدة لمضاربة الأسواق الأوروبية . ولكن هناك فوائد أخرى يمكن الحصول عليها من وراء هذا الفائض . فهو ييسر سبل الثقافة ، ويوفر الاموال اللازمة لتمويل الابحاث التى تؤدى الى انتشار العلوم ومختلف أنواع الصناعات .

لقد قامت الثورة الصناعية الأولى فى بريطانيا أولا . ثم امتدت بعد ذلك الى أوروبا ، ثم الى أمريكا ، ثم الى اليـابان حتى دخلت الاتحـاد السوفييتى .

ومن الحقائق الهـامة التى نادرا ما تذكر أن أول دولة تحـدت التفوق الصناعى فى بريطانيا وغزت أسواقها . بما فى ذلك من اسواقها الداخلية انما هى بلجيكا ..

ويرجع هذا الى عدة عوامل متجمعة أهمها هبـوط مسـتوى المحصول ... وكما اخترعت امريكا قانون ماكماهون الذى منع بقية دول العالم — بما فى ذلك بريطانيـا — من الوقوف على أسرار الكشف عن الطـاقة الذرية فى عام ١٩٤٥ . كذلك فعلت بريطانيا فى أوائل القرن التاسع عشر عندما فرضت عقوبات لحماية أسرار عملياتها الصناعية .. فمن الامور التى كانت تعتبر جريمة يعاقب عليها أن يحـاول مواطن بريطانى الحصـول على وظيفة فى القـارة الاوروبية ، أو أن يحاول الجواسيس التجاريون الحصول على عمل فى المصانع البريطانية .. كما انه ممنوع كذلك تصدير آلات صنع النسيج خارج بريطانيا ، وبذلك وجدت الدول الاوروبية نفسها بعد حروب نابليون فى مواجهة تنظيم صناعى بريطانى كامل النمو داخل اطار محكم من السرية التامة .

ولكن الوضع كان يختلف بالنسبة لبلجيكا ، اذ أن الملك ليوبولد الاول كان عم الملكة فيكتوريا وكان متمرسا فى التطورات الصناعية قبل اعتلائه العرش .

ففى عام ١٨٤٥ كان نصف مليون شخص فى بلجيكا — تلك الدولة الصغيرة — من العاطلين ، ذلك لان توسع بريطانيا فى انتاج الكتان قضى على تجارة النسيج اليدوى ، كما أن هذا قد صادف وقوع كارثة هبوط المحصول ، فما كان من ليوبولد الا أن اتخذ اجراءات حاسمة ، فقـد أقام المرافق العامة التى شملت انشاء السكك الحديدية وشق الطرق والقنوات ، بل لقد حاول أن يستجدى أو يقترض أو حتى يسرق الآلات لتطبيق الوسائل الميكانيكية فى صناعة الكتان .. بل لقد عمل كذلك على زيادة عدد المدارس الابتدائية فى جميع المقاطعات « وبهذا سبق انجلترا فى هذا المجال بثلاثين عاما » كما أقام أيضا المدارس والكليات الفنيـة

والورش الجديثة - وذلك لتزويد الشعب بجميع التفصيلات والتعليمات حول وسائل صناعة النسيج ، وتطوير صناعة الفحم والحديد ، وصناعة الماكينات ، وقد كللت هذه الجهود بنجاح منقطع النظير وأصبح البلجيكيون يتطلعون عبر البحار مثلهم في ذلك مثل بريطانيا تماما .. وكان من نتيجة ذلك أن دخل ليوبولد فيل الثاني الكنغو وكان ما كان من تبعات نذكرها جميعا اليوم .

اذن يمكن القول من الناحية الجغرافيه ان الثورة الصناعية تنتمي الى « سكان المنطقة المعتدلة الدافئة » ما لم يستطع الانسان في هذه المنطقة وفي غضون فترة لا تتجاوز مائتى عام أن يسيطر على الظواهر الطبيعية سيطرة تامة وأن يحقق رخاء صناعيا يجعله في مكانة تفوق مكانة الآخرين .

ولضخامة الاعمال التي حققها الانسان ومدى تكاملها بدأ يعتقد أنه لا بد أن تكون هناك صفات داخلية تميزه عن غيره من الاجناس الاخرى .

ولكن نظرة واحدة الى الخريطة قد تجعلنا نخفف من شعورنا بالغطرسة بل وتجعلنا نعيد التفكير مرة أخرى .. لقد اعتمد الرخاء الصناعى الذى بدأ باختراع الآلة البخارية فى أول مراحله على الفحم الذى يعتبر وقودا رخيصا ، ثم كان البترول ، والغاز الطبيعى - اللذان كانا جيولوجيا وجغرافيا منذ ملايين السنين .

ونظرا لان الفحم رخيص السعر وفى متناول اليد ، أخذت المصانع فى خلق الثروة التى فى استطاعتها أن تولد سلسلة متصلة من الرخاء وتوسع مدارك المعرفة . ولكن نظرة واحدة الى الخريطة الموضحة للموارد الطبيعية تبين السبب فى أن سكان المنطقة « المعتدلة الدافئة » يتمتعون بمزايا خاصة .. أن الوقود الذى هو أساس لما حققوه من رخاء منقطع النظير كان فى متناول أيديهم .

وجدير بالذكر أن تسعة أعشار احتياطى الفحم المعروف فى العالم - وأربعة أخماس احتياطى البترول فى العالم أيضا شمال خط عرض ٢٠ شمالا أى جنوب مدار السرطان مباشرة .

كما أن معظم الدول المسماة بالدول المتخلفة جنوب الخط أيضا ، اذا استثنينا « جنوب افريقية ونيوزيلاندة » اللتين تخلصتا جديثا من سيطرة النفوذ الصناعى والتجارى ، ولم يكن فى استطاعة تلك الدول المتخلفة أن يكون لها أى نصيب فى هذه الثورة الصناعية التى قوامها الوقود الرخيص الا بصفتها ممولة للمواد الخام والغذاء اللازم للمصانع القائمة فى الشمال .

وبناء على ذلك فقد حالت الظواهر الجغرافيه والجيولوجية دون أن تتمتع شعوب هذه الدول بالثورة الصناعية وثمارها - هذا بصرف النظر عن احتمال أنهم يتمتعون بمقدرات داخلية كان فى الامكان أن تخرج الى حيز الوجود اذا أتيحت لها الفرصة لذلك - ولكن بالرغم من ذلك

فقد كان لهم ـ أو لبعضهم على الاقل ـ نصيب فى بعض أوجه التقدم مثل الخدمات الطبية .

تلك هى البلدان التى تكاد تنفجر حاليا من كثرة ما بها من عدد السكان .. والى جانب الاجراءات الصحية العامة التى اتخذت من أجل الحد من انتشار مختلف الاوبئة والامراض مثل الحمى الصفراء والكوليرا وغيرهما ، فقد حدث تقدم لا يستهان به فى عالم الادوية منذ عام ١٩٣٥ وما تبعه .. وقد أمكن باكتشاف أقراص السلفا والبنسلين فيما بعد القضاء على جراثيم بعض الامراض .. كما أن اكتشاف مسحوق الـ « د.د.ت » وغيره من المبيدات يعنى أن الامراض التى تنتقل عن طريق الحشرات يمكن القضاء عليها فى جميع المناطق والمجتمعات .

ان مثل هذه الاجراءات فى حاجة فقط الى فهم واستيعاب تعاونى من أكبر جانب ممكن من عدد السكان ، انها لا تتطلب عمليات تثقيف حول الاساليب الحديثة اللازمة فى كثير من الاحيان من أجل النهوض بالمستوى الزراعى .

لقد أمكن بنجاح بالغ معالجة عشرات الملايين من أبناء الشعب من الامراض الجلدية المتوطنة عن طريق البنسلين ، كما عملت المبيدات على حمايتهم من مرض الملاريا ، فضلا عن تمكنهم من الحد من انتشار مرض السل ، وذلك عن طريق تركيبات طبية وقائية معينة .

وفى الوقت نفسه أزيح النقاب عن وجود نسبة هائلة من مرض السل فى البلدان الفقيرة ، اذ أن الحكومات ليس فى امكانها توفير المستشفيات أو الاطباء من أجل علاج هؤلاء المرضى « لقد كانت الهند فى حاجة الى ٣ ملايين سرير فى المصحات على الاقل » ..

ولكن بفضل العلاج المباشر باستربتومايسين أمكن قلب هذه الصورة البشعة رأسا على عقب .

ومع تلك الاجراءات التى اتخذت للسيطرة على نسبة الوفيات على هذا المستوى الدولى انبثق الشعور بالوطنية .. فالدول المتأخرة ، والتى تعلمنا أن نطلق عليها الدول المتخلفة ، أصبحت دولا « نامية » فى جميع المجالات وخاصة فى المجال السياسى .

لقد أخذت هذه الدول تصر على تسلم زمام مصايرها ، والنهوض بمصالح شعبها بنفسها ، دون تدخل من جانب أية دولة أخرى .

وقد صادفت هذه الفترة كذلك ظهور التطور العلمى والفنى بالنسبة للمواصلات ، فلم يكن فى العالم أجمع سوى أماكن ضئيلة للغاية لم يتعلم شعبها فوائد التقدم الفنى ، ويشعر أنه قد حرمها أو حيل دونه والوصول اليها .

ولكن التوزيع الجغرافى والجيولوجى لمصادر الوقود لم يتغير ، وربما كان فى استطاعة الابحاث التى أجريت للتنقيب عن البترول أو الفحم تغيير هذه الصورة بعض الشىء « ويعد اكتشاف البترول المعدنى فى نيجيريا أهم بكثير فى هذه الصورة من فتح حقول البترول فى الصحراء » .

ومهما يكن من أمر فقد كانت الثورة الصناعية الثانية على الأبواب وهذه الثورة الى جانب ما حملته معها من مواد وماكينات حديثة ومصادر جديدة للقوة ، اضافت عنصرا جديدا الى مقدرة الانسان على التغلب على بيئته .

واذا نظرنا مرة أخرى الى الخريطة فسوف نرى أن هناك جنوبي « المنطقة المعتدلة الدافئة » أى جنوب خط عرض ٢٠ شمالا ، مناطق غنية بالقوى الكهربية ، حيث تسقط الامطار الاستوائية بغزارة .

ومهما يكن فانه اذا كان رأس المال متوافرا ، والهدف هو استغلال هذه المصادر التى تعتبر الدول التى قطعت شوطا كبيرا من التقدم فى أمس الحاجة اليها ، ففى امكان الفرد حينئذ أن يقـــوم بتنفيذ مشروعات ضخمة ، مثل مشروع الفولتا . وفى الواقع أنه مهما كان الدافع الاصلى فان الوصول الى السلطة هو الذى سيحقق المزيد من التقدم .

وفى عام ١٩٥٥ عندما عقدت الامم المتحدة مؤتمر استخدام الطاقة الذرية فى الاغراض السلمية فى مدينة جنيف ، ذهلت الدول الحـديثة لمدى التقدم الذى أحرزه الانسان ، وما حققهمن معجزات فى هذا المجال . وكان من المتوقع أن تستخدم الدول التى قطعت شوطا كبيرا فى التقدم علمها وخبراتها لخدمة الشعوب المتخلفة ، واطفاء ظمئها من أجل النفوذ والقـــوة ، ولكن عندما انعقد المؤتمر الثانى فى جنيف عام ١٩٥٨ اتضح أن هذا الامل سابق لاوانه .

وخلاصة القول أنه اذا كانت دولة من الدول تتمتع بمقدرة صناعية ، فان فى امكانها اما أن تعمل على تطوير طاقتها الذرية أو أن تتكلف نفقات شرائها من بريطانيا أو الولايات المتحدة أو فرنسا أو روسيا .

وقد بدأت الدول تدرك تدريجيا أنها اذا أرادت الحصول على القوة الذرية ، فلا بد أن تكون فى الوقت نفسه على جانب كبـير جدا من الثقافة والصحة ، وأن يكون لديها وفرة فى المواد الغذائية ، فضـــلا عن النهوض بمستوى المصـــانع وبنـــاء الطرق وغير ذلك من التحسينات الاجتماعية . تلك هى الاشياء التى تعتبر فى نظر السـياسة المعترف بها « عوامل غير اقتصادية » .

من هنا ، نجد أننا عدنا مرة أخرى الى حالة « البؤس » اذ أن الدولة التى تبغى تحسين حالة الزراعة بها وجعلها على جانب كبير من القوة ، لا بد أن تتخلص من عدة أشياء :

أولا : فائض عدد السكان الذى بها .

ثانيا : النظم القديمة المتبعة فى فلاحة الارض .

ثالثا : الاقطاع .

رابعا : الربا .

وفضلا عن ذلك لا بد لهذه الدولة من أن تشجع ابناء الشعب على

المساهمة في الصناعات - وخلق فائض من السلع يؤدي بدوره الى انعاش الزراعة .

ولكن خلق الصناعات يتطلب خلق الاموال التى تؤدى بدورها الى خلق القوة اللازمة لخدمة هذه الصناعات .

وبذلك وجدنا ان الدول الغنية تصبح على جانب أكبر من الغنى ، والدول الفقيرة تتدرج فى مراحل البؤس ، بالرغم من أنه قد ظهرت فى تلك الاعوام الخمسة عشر مرحلة جديدة من الارتقاء وفلسفة جديدة قائمة على أساس المعونة المتبادلة ، كان من المفروض أن تقوم بأداء دورها .. وتعتبر وحدة الدخل سواء أكانت بالدولارات أم بالجنيهات أم بالروبل ، مساوية لوحدات الطاقة المحركة . ان دخل الفرد فى الولايات المتحدة ضعف دخل الفرد فى بريطانيا ، وكذلك بالنسبة لاستهلاك الطاقة المحركة لكل فرد . أما دخل الفرد فى الهند فانه يكاد يقل عن عشر دخل الفرد فى بريطانيا ، وهذا ينطبق أيضا على استهلاك الفرد للطاقة المحركة .

وهذا الاستهلاك لا يظهر فى صورة السلع الكمالية ، وانما يظهر بوضوح فى الاشياء الاساسية الضرورية ، مثل الابقاء على حياة الاعداد المتزايدة من السكان .. فجدير بالذكر أنه قد بلغ معدل زيادة السكان فى الهند ٥ ملايين نسمة فى العام ، على حين بلغ هذا المعدل فى الولايات المتحدة ٣ ملايين فى العام ، بالرغم من أن العدد الحالى للسكان فى الولايات المتحدة يبلغ نصف عدد السكان فى الهند .. ولكن بينما تبلغ نسبة الذين يعملون بالزراعة فى الهند ٧٠٪ من عدد السكان ، يبلغ عدد العاملين بالزراعة فى الولايات المتحدة ١٨٫٥٪ فقط ، « وتبلغ هذه النسبة ٥٪ فى بريطانيا »

ويرجع السبب فى أن مستوى المعيشة المرتفع الذى من الممكن أن يكون له وجود فى نصف الكرة الغربى — حتى فى حالة زيادة عدد السكان — الى حقيقة واقعة وهى أن الفلاحين ليسوا هم الذين يتحملون عبء الزيادة عن طريق بذل الجهود المضنية ، وانما الذى يتحمل هذا العبء هو الانتاج الصناعى .

ان الفلاح الهندى على درجة بالغة من الفقر ، بحيث أنه ليس فى استطاعته أن يفعل أى شىء لتحسين مستواه الزراعى ، أو تحسين مستوى معيشته « اذ أن متوسط دخله فى العام دون الثلاثين جنيها » . وتحتاج الهند الى زيادة سنوية فى الحبوب تقدر بـ ٧٠٠ ألف طن ، وذلك لمواجهة الزيادة التى تقدر بحوالى ٥ ملايين نسمة كل عام .

وهناك عدة طرق مختلفة لتحقيق ذلك :

أولا — بشراء هذه الكمية من البلدان الخارجية بسعر ٣٤٠ مليون جنيه سنويا « وهذا المبلغ يعادل ثلاثة أرباع دخلها السنوى من جميع أنواع الصادرات »

ثانيا ــ بشراء كمية كافية من السماد للنهوض بالمحصول الزائد وذلك بتكاليف تقدر بـ ١٠٠ مليون جنيه مع التأخير فى التسليم والتوزيع .

ثالثا ــ باستيراد مصنع جديد للسماد كل عام بتكاليف قدرها ٧٥ مليون جنيه ، مع التأخير فترة لا تقل عن خمسة أعوام وهى التى سوف تستغرقها عملية البناء « وحيث يزيد عدد الافراد الذين فى حاجة الى طعام بمقدار ٢٥ مليون نسمة أخرى » .

رابعا ــ باقامة مشروعات هندسية قادرة على تزويد مصنع السماد بالمعدات ، وذلك بتكاليف تقدر بـ ١٠ ملايين جنيه ووضع تخطيط لفترة السنوات العشر التالية التى سوف تشهد مولد ٥٠ مليون نسمة أخرى « وهذا يساوى حجم السكان فى انجلترا وويلز » .

واذا تركنا جانبا الناحية العاطفية من هذا الموضوع ، ونظرنا اليه نظرة عملية نجد أن مخازن الغلال التى فى نصف الكرة الغربى تكاد تنفجر من كثرة ما بها من الحبوب ، ونحن فى هذا المجال فى حاجة الى عقد صفقة بـ ٣٤٠ مليون جنيه ، كما أن المصانع الكيمائية فى الغرب فى استطاعتها انتاج كمية السماد المطلوبة التى تقدر قيمتها بـ ١٠٠ مليون جنيه . الى جانب أن مصانع المعدات قد ترغب فى الحصول على ٧٥ مليون جنيه قيمة المعدات المطلوبة اللازمة لاقامة مصنع السماد الحديث . فضلا عن أن هناك شركات هندسية يسرها أن تساعد الهنود فى بناء الورش من اجل انتاج المعدات التى تلزمهم ، ولكن الى جانب ذلك كله هناك موقف معين سواء أكان واضحا أم ضمنيا ، وهو أن مساعدة الهنود على أن يدخلوا مجالات العمل بأنفسهم قد يخلق بينهم روح المنافسة ، وفى هذه الحالة تصبح المساعدة غير مرغوب فيها ويفضل الهنود أن يطوروا أنفسهم بأنفسهم . وبذلك ترتفع حدة البؤس بين أبناء الشعب وما يتبع ذلك من عواقب سياسية واقتصادية لا حصر لها فى جميع أنحاء العالم .

وبصرف النظر عن العواقب السياسية التى تعتبر واضحة كل الوضوح ، فان الدول التى قطعت شوطا كبيرا فى التقدم قد تذكر نفسها بما تضمنه « تقرير بالى » الذى ورد ذكره من قبل ، فبحلول عام ١٩٧٥ م ستكون الولايات المتحدة قد ضاعفت ــ أو كادت ــ كمية ما تستهلكه من المعادن والوقود والخامات غير المعدنية ، كما ستزداد حاجاتها بنسبة ١٠٪ وتكون حاجاتها الى المنتجات الزراعية بما فى ذلك من المحصولات الصناعية قد انخفضت بمقدار النصف عما هى عليه الآن . . وهذا من شأنه ان يعوق ما بهذه الدولة من مقدرات ، برغم أنها تعتبر من الدول التى تتمتع باكتفاء ذاتى منذ أمد بعيد . الامر الذى يجعلها تتجه الى اكثر الدول تخلفا فى العالم بما فى ذلك من الهند . . بل ان هذا سيكون الوضع بالنسبة لجميع الدول الاخرى ومن بينها بريطانيا . . وفى الواقع أن مطالب تلك الدول المتخلفة ستكون أضخم ، اذ أننا فى حقيقة الامر نعتبر رهائن لتلك الدول التى نحن فى أمس الحاجة الى مصادرها المادية ، من أجل اطعام ماكيناتها فى الوقت الذى لا يشغل اذهانها سوى اطعام شعوبها الجائعة .

واذا نظرنا الى هذه المشكلة القائمة فى الهند بشىء من العقل السليم نجد أن الزيادة السنوية التى تقدر بـ ٥ ملايين نسمة فى حاجة الى اطعام فى الوقت الحاضر ، وهذا يتطلب الحصول على حبوب بما قيمته ٣٤٠ مليون جنيه . وفيما يتعلق بالاسعار التى تعتمد على الاعانات نجد أن ذلك المبلغ الا وهو ٣٤٠ مليون جنيه قـــد أصبح ملغى نظرا لان حكومة الولايات المتحدة والحكومة الكندية ليس فى امكانهما بيع هذه الحبوب دون تحطيم أســـعار السوق ، فلم لا نعطى الحكومة الكندية هـذه الحبوب — نوعا « كمعونة متبادلة » تقوم الحكومة بدورها ببيعها .. وعن طريق ما تحصل عليه من صفقاتها الداخلية تســـتطيع تمـــويل مشروعات أخرى ، اذن يكون فى امكانها التقـــدم بطلب عدة أطنان من السماد بما قيمته ١٠٠ مليون جنيه للحصاد التـــالى ، أو من الافضل أن تطلب ضعف هذه الكمية نظرا للزيادة المتوقعة كل عام . والتى تقدر بـ ٥ ملايين جنيه ، وفى امكانها أيضا أن تستغل ٧٥ مليون جنيه أخرى فى بناء مصنع واحد على الاقل لمدة خمسة أعوام من تاريخه وتقـــيم الورش من أجل انتاج معدات التسميد فى غضون عشرة أعوام .. وهذا من ناحية المبدأ يؤدى الى سد غائلة الجوع فى الوقت الحاضر وتأمين الشعب ضده فى المستقبل .

وفى الواقع هناك حل آخر لهذه المشكلة التى تعانى منها الهند وغيرها من البلدان ، وهو اعطاء هذه الدول أسعارا ملائمة للسلع التى تنتجها ، وربما لا تقوم بريطانيا بتنفيذ ذلك على الوجه الاكمل ، ولكننا على الأقل لا يصح أن نثرى على حساب الشعوب الجائعة ..

الباب الخامس
وباء الأطفال

يؤيد الكثيرون منا ـ بما فى ذلك علمـــاء الديموغرافيا ـ فكرة التحكم فى نسبة الوفيات . وخاصة داخل دائرة الاسرة . ويرجـــع السبب فى تأييد هذه الفكرة الى عاطفة الابوة ، وشـــدة حب الابوين لأطفالهما ، وتمسكهما بهـــم أطول فترة ممكنة من حياتهم . واننا ندين للعلوم الطبية بالكثير من الامتنان . نظرا لان القليل جدا من الاطفال فى يومنا هـــذا يموتون فى مرحلة الطفولة ، ولأن هؤلاء الصـــغار أصبحوا يعيشون حتى يصيروا رجالا يعملون وينتجون .

وقد قال ارســـطو الذى عاش فى الفترة ما بين ٣٨٤ و ٣٢٢ قبل الميلاد : « ان معظم الاطفال يموتون قبل مضى أسبوع . لذلك لا تظهر لهم شهادات ميلاد حتى يصلوا الى سن اسبوع حيث يكون هناك مزيد من الامل فى العيش » .

وقد قدر سير « ادوين شادويك » وهو من المصلحين الصحيين الذين عاشوا فى القرن التاسع عشر متوسط ما يعيشه الطـفل فى عام ١٥٥٠ بثمانية أعوام ونصف العام :

وحتى منتصف القرن الثامن عشر ، كان معدل الوفاة فى بريطانيا يقدر بأربعة أطفال من كل عشرة فى السنة الاولى ، وسبعة أطفال من كل عشرة قبل بلوغهم سن الخامسة .. وفى أوائل هذا القرن بلغ معدل الوفاة ١٥٠ طفلا لكل ألف طفل . ومنذ ثلاثين عاما فقط . كانت هذه النسبة ما زالت ٦٥ لكل ألف طفل . أما اليوم فقد بلغت هذه النسبة النصف ، بل لقد هبطت فى النرويج الى عشرين طفلا فقط .

ومنذ خمسة وعشرين عاما . بلغ عدد النساء اللائى متن فى أثناء عملية الوضع فى بريطانيا ٣٠٠٠ سيدة . وقد هبط هذا الرقم الآن الى ما دون العشر .

ومع ذلك ، فما زال يرن فى أذنى صوت العالم الراحل سولومون كولكر ـ وهو من مدينة سيراليون ـ وهو يصيح بأعلى صوته فى مؤتمر «العلم فى خدمة الدول الحديثة وتقدمها» الذى عقد فى عام ١٩٦٠ :

« لم نسمح لثمانية من كل عشرة من أبنائنا بالموت ؟ » كما أننى ما زلت أذكر كذلك نحيب الامهات فى عيادات جنوب شرقى آسيا ، وهن يقلن « لم ننجب أطفالا مصيرهم الموت ؟ » ولكن بالرغم من ذلك ، فاننى

على يقين من أنه ما دام فى استطاعة العلوم الطبية خدمة هؤلاء الامهات ، فان الطفل الذى تحمله امه بين أحشائها تسعة أشهر لا بد أن يعيش ويعمل !! ويتزوج وينجب أطفالا جددا ، كما أنه من حق الام أيضا أن تعيش حتى لو كان هناك احتمال لانجابها مزيدا من الاطفال ، وبرغم ما يؤدى اليه ذلك من زيادة فى تعقيد مشكلة السكان فى بلادنا .

ولكننا اذا أردنا التحكم فى نسبة الوفيات ، فانه يتحتم علينا كذلك تحديد النسل .. لقد رأينا من قبل أن الأمهات قد كتب عليهن دون رغبة منهن ألا ينقطعن عن انجاب الاطفال ، لانهن لا يعرفن السبيل الى كيفية منع أنفسهن عن انجاب هؤلاء الاطفال .

« وانها ارادة الله » ذلك هو التفسير الذى سيق اليهن عندما أخذن يتساءلن قائلات : « لم يتحتم علينا أن ننجب أطفالا مصيرهم الموت ؟ »

وقد عارض أصحاب النظرية الماركسية ما تضمنته نظرية « مالتوس » التى تقول : انه من الممكن أن يكون هناك توازن بين الانتاج واعادة الانتاج ، وانه من الممكن مواجهة الفقر الماثل فى العائلات الكبيرة عن طريق اعادة توزيع الثروة .. وجدير بالذكر أن تحديد النسل لم يلق أى تشجيع فى روسيا السوفيتية بل ان العائلات الكبيرة تجد من الدوافع الاجتماعية ما يشجعها على انجاب مزيد من الاطفال .

فمثلا تمنح المرأة التى تنجب ما يزيد على عشرة أطفال وسام « الام المثالية فى الاتحاد السوفيتى » .

أما فى الصين حيث يبلغ تعداد السكان ما يربو على ٦٠٠ مليون نسمة ، فلم تعد اجراءات تحديد النسل التى لقيت تشجيعا فى وقت ما — لم تعد بعد سياسة رسمية ، بل ان العائلات الكبيرة اعتبرت بمثابة عامل من عوامل التشجيع على نشر الشيوعية .

وكما قلنا من قبل ، نجد أن الزمن — لا الارقام الاجمالية — هو الذى يهددنا .

وقد أشار خبراء السكان فى الامم المتحدة الى أن الموارد الزراعية القائمة حاليا تستطيع بشىء من الرعاية أن تغذى ١٦٠٠٠٠٠ مليون نسمة ، ولكن الامل فى امكان توافر الغذاء لربع هذا العدد فى مدة لا تتجاوز عام ١٩٨٠ يدعو الى الخوف ، فانه ما لم تتوافر الجهود والاذهان والمصادر الرأسمالية على نطاق أوسع مما هى عليه الآن ، فان الطاقة الزراعية لن تكون بالقدر الكافى الذى يسمح بتغذية هذا العدد الضخم من السكان .

وجدير بالذكر أن هناك تغيرا فى معدل زيادة السكان الآن عنه فى القرن التاسع عشر فى أوروبا حين كان هذا المعدل يبلغ ٧٥ر٪ سنويا ، أما الآن فقد بلغ معدل الزيادة فى العالم ضعف هذه النسبة ، أى حوالى ٤٥ مليون نسمة فى العالم — ٣٠ مليونا منها فى آسيا وحدها — وقد كانت الهجرة من العناصر التى خفضت من حدة هذا الوضع فى

أوروبا ، ولكن تلك الزيادة السنوية اليوم تعادل جميع من هاجروا من أوروبا فى الفترة ما بين سنتى ١٨٠٠ و ١٩٥٠ .

ومن العسير معرفة ما تمثله هذه الزيادة فى واقع الامر ، ففى كل دقة من دقات الساعة ، ليل نهار . يولد مخلوقون جدد فى حاجة الى الطعام ، فالزيادة تبلغ ١٢٠ ألف نسمة يوميا !

ومما هو جدير بالذكر أن ذلك الرقم يعادل عدد الذين فروا من اللاجئين البرتغاليين بأنجولا الى الكونغو ، واذا تصورنا طابورا طويلا من هؤلاء اللاجئين وهم يمرون أمام نقطة من نقط التوزيع ، لكى يحصلوا على كوب من اللبن ، ورغيف من الخبز ، وقطعة من السمك . نجد أن هذه العملية اذا استغرقت ثانية واحدة بالنسبة للشخص الواحد ، فان هذا الطابور الطويل الذى يمتد ثلاثين ميلا سيستغرق أربعا وثلاثين ساعة حتى ينتهى من هذه العملية .

والى جانب ذلك أيضا فان حصول الشخص الواحد على كوب من اللبن يتطلب ٩٦٠٠ بقرة ، وحصوله على رغيف من الخبز يتطلب محصول ٢٠٠ فدان من القمح .

أما اذا حاولنا تقديم نصف رطل من السمك للشخص الواحد فاننا نكون بحاجة الى ١/٤ كمية الاسماك التى يقوم أسطول « فليت وود » باصطياده من الاسماك فى اليوم الواحد . وما أن نصل الى نهاية الاربع والثلاثين ساعة حتى نجد طابورا آخر تعداده ١٧٠ الف شخص فى انتظار دوره ، حتى نجد فى النهاية أن طول الطابور الواحد فى غضون عام قد يمتد من بريطانيا الى نيوزيلندا ، وان هذا الكوب من اللبن يعنى ٣٥٠٠ الف بقرة أخرى ، وان رغيف الخبز يعنى زيادة مساحة الارض المزروعة قمحا بمقدار مساحة جزيرة « وايت » وان هذا القدر الضئيل من السمك يعنى انشاء ٩٠ أسطولا جديدا فى مثل حجم أسطول فليت وود ، فكيف لنا اذن أن نحقق معجزة القرن الحديث .. معجزة أرغفة الخبز والاسماك ؟ !

فى الواقع أن هناك سبيلا واحدا الى معالجة هذه المشكلة .. مشكلة انفجار السكان ، ذلك السبيل هو احداث تفجير ذرى . ان الامر الذى لا شك فيه هو أن نشوب حرب ذرية سيكون له أثر فعال فى تقليل عدد السكان ، بل انه سيؤدى كذلك الى تقليل قدرة الفرد على الاستمرار فى العمل نظرا لتسمم سطح الارض بالاشعاع الذرى الناتج عن هذا التفجير ، الذى سيؤثر بدوره على جميع الكائنات الحية ، من انسان ، وحيوان ، ونبات : ولكن آثار الحرب الذرية تبلغ من الخطر حدا لا يستطيع معه أحد أن يدعو الى هذه الحرب الذرية كحل لمشكلة تحديد النسل !

واذا لم يكن فى المستطاع فرض قيود مادية على السكان ، فلا بد من وجود قيود أخرى ذات طبيعة بيولوجية .. ويعتقد « مالتوس » — مثله فى ذلك مثل الكنيسة الكاثوليكية — ان أفضل صورة لتحديد النسل هى ضبط النفس عن الشهوات .

وجدير بالذكر أن تلك الشهوة الجنسية لن تقيد أو تكبت عن طريق الحجج والمناقشات الديموغرافية ، ان ما يهمنا ويثير القلق فى نفوسنا ليس هو تلك الشهوة فى ذاتها ، وانما ما ينجم عنها من عواقب .

وقد قال دكتور وارن نلسون — أحد خبراء السكان الامريكيين حينما كان فى طوكيو عام ١٩٥٥ :

« لقد كانت وسائل منع الحمل الفعالة متوافرة منذ مئات السنين ، ولكن هذه الوسائل لم تجد قبولا الا فى حيز ضيق للغاية ، نظرا للاعتراضات الكثيرة التى واجهتها فى المجالات الدينية والثقافية والاقتصادية » .

من ذلك نرى أن حل هذه المشكلة يكمن فى الوسائل الفسيولوجية ، ومن الحقائق التى هى على جانب كبير من الغرابة ان فسيولوجية التكاثر كانت حتى وقت حديث جدا فى عالم المجهول ، لقد كان البحث فى مسألة « الجنس » يعتبر موضوعا غير ملائم حتى من جانب العلماء ، اذ كان البحث فى مشكلات الجنس مقصورا على فئات معينة هى أطباء أمراض النساء والقابلات والاطباء النفسانيون ، ولكن هذا أيضا لم يكن يعطيهم الحق فى اجراء أبحاث « مجردة » حول هذا الموضوع .

وقد بذلت أخيرا جهود جبارة عن طريق المنظمات الاجتماعية مثل « هيئات تخطيط الاسرة » التى لها فروع هنا وفى أمريكا للنظر بمزيد من الاهتمام الى هذا الموضوع وتمويل الابحاث التى وضعت خصيصا لهذه الدراسة الحساسة .

اذا أردنا الوصول الى عامل فعال لتحديد النسل ، فهناك معايير وشروط معينة لا بد من تطبيقها وهى :

١ — لا بد أن يكون هذا العامل داخل حدود اقتصادية معينة .

٢ — لا بد أن يكون سهل الاستعمال بصفة عامة .

٣ — لا تكون له أية أضرار جسمانية .

٤ — لابد أن تكون آثاره على الجهاز التناسلى آثارا مؤقتة ، أى ألا تتسبب فى عقم الشخص الذى يستخدمه .

٥ — ألا ينطوى على أية مؤثرات فسيولوجية أو عاطفية

٦ — لابد أن يكون مقبولا من جانب هؤلاء الذين وقع اختيارهم على استعماله ..

وبرغم جسامة المشكلات التى اعترضت سبيل الوصول الى حل فعال لهذا الموضوع بين الدول الغربية ، فقد بدأت الدول بالفعل باتخاذ اجراءات حاسمة لتحديد فترة الحمل بالوسائل البيولوجية .. وقد أجريت تجارب واسعة النطاق باستخدام أقراص منع الحمل ، ومعرفة مدى تأثيرها فى هذا المجال ، ولكن قد تكون لهذه الأقراص الى جانب منع الحمل .

آثار في المدى الطويل وخاصة بالنسبة لحياة الام العاطفية • وفضلا عن ذلك فان المسألة ليست مجـــرد قرص ، بل سلســـلة من الاقراص يبلغ عددها عشرين قرصا تتناولها الام شهريا طيلة الفترة التى تقدر فيها على الانجاب •• ومن المحتمل — وهذا أمر لا شك فيه — ألا يكون ذلك هو حل المشكلة بالنسبة للدول الفقيرة التى تعتبر على درجة بالغة من الجهل •

وبالرغم من أن أضمن وسيلة لتخطيط الاسرة تركها للأم من حيث تصرفها في عدد الاطفال الذين نود انجابهم ، فقد طبقت أبحـــاث منع الاخصاب على الذكور أيضا •

ونظرا لأننا نواجه بالفعل هــذا الوباء ألا وهو وباء كثرة الاطفال • فان هناك ما يبرر نظرنا اليه من الوجهة الوبائية • وفى الواقع أن هناك احتمالات للتحصين ضد هــذا الوباء ، فى كل من الذكور والاناث على السواء •• ويمكن تحقيق ذلك عن طريق الحقن ، اذ أن ملايين الأفراد فى الدول التى تعانى من خطورة مشكلة تزايد السكان بها ، لا يتوانون فى أخذ هذه الحقن على الاطلاق •

وفى الوقت الذى يقرر فيه الزوجان أنهما قد اكتفيا بما لديهما من أطفال ، فان أحدهما يكون على استعداد لتطبيق عملية التعقيم • وهــذه العملية لا تعتبر شاقة أو خطيرة ، ولكنها — كما قالت احدى المحـــاكم البريطانية فى قضية كانت تنظرها عام ١٩٦١ — ليست فعالة على الدوام بالنسبة للنساء •• ومهمـــا يكن ففى الهند ، تقدم المكافآت والعطاءات للرجـــال حتى يقبلوا فكرة التعقيم التى لا تحـــدث أدنى ضرر للعملية الجنسية •

تلك هى عملية تنظيم النسل فى حدود الأساليب المتبعة فى تخطيط الأسرة ، ولكن هناك من ينادى بضرورة اجراء هذا التنظيم على أســاس ديموغرافى ، وضرورة قيام المجتمع نفسه باتخاذ اجراءات فعالة فى هذا الشأن •

وقد أشار البروفسور « هومى ج • بها » العـلامة الهندى — الذى طبقت شهرته الآفاق — الى أنه فى الامكان حل المشكلة الهندية عن طريق اجراء تخفيض قليل فى درجة الاخصاب بنسبة ٣٣٪ واقترح أنه لابد من الوصول الى مـــادة جوهرية تكون ذات أثر فعـال بالنسبة لجميع أفراد الشعب ، واقترح أيضا أن مثل هذه المادة يمكن ادخالها فى مياه الشرب التى يتناولها السكان كما هو الحال بالنسبة لغاز الكلور ••

وقد يكون من قبيل الجرأة أو المغامرة أن ينادى أحد الساسة باتباع مثل هذه السياسة القـــائمة على منع الحمل ودون أى تمييز مهما كانت طبيعته ، فلا يخفى على أحد أن فكرة فقدان الاخصاب ، أو الحث على العقم من أكثر الأفكار التى تبعث على القلق •• وممـــا يذكر أنه فى غضـــون الحربين العالميتين ، كان الجنود يقنعون بشرب شاى « النافى » الذى يحتوى على مادة مخدرة من « أجل انتزاع شبح النساء من عقولهم » ، ومن أبسط الخدع المتبعة فى الحرب السيكولوجية اقناع العدو بأن الشىء الذى يقدم له قد يؤدى الى الضعف أو العقم •

ومما يذكر أن البروفسور « ج . بها » قد اقترح أن يستمر عملية مزج مياه الشرب بالمادة المعينة لفترة محدودة من الزمن تستطيع بتحقيق نسبة التخفيض المطلوبة وهي (٣٣٪) .

ومهما يكن من أمر فان هذا الاعتراض لا يؤثر في احتمالات اجراء عمليات التلقيح ضـــد الحمل ، حيث يسعى الافراد وراء المناعة بمحض اختيارهم ، عندما يجدون أنهم قد رزقوا العديد من الأطفال على حســب رغبتهم ، كما أنه لا يؤثر كذلك في التحكم في درجة الاخصاب ، (دون أن يؤدي الى العقم) .

وكما أشرنا من قبل ، فانه يمكن تحقيق الكثير في الهند ، عن طريق اصدار قانون يقضي بعـــدم زواج الاطفال ، الأمر الذي يؤدي بدوره الى تقصير فترة الحمل . وقد انعكس هذا الاتجاه في دولة واحدة في العالم . ألا وهي اليـــابان فقلت نسبة التناسل بمقدار النصف ، اذ بلغت هذه النسبة في عام ١٩٤٧ (٣ر٣٤٪) لكل ألف نسمة على حين وصلت الى ٥ر١٧٪ في عام ١٩٥٩ .

ففي عام ١٨٧٢ عندما قرر اليابانيون اتباع سياسة تقضي بادخال النظم الحديثة في البلاد ، وتطبيق الاسس التي قامت عليهـــا الثـــورة الصناعية في الدول الغربية ، كان عدد السكان يبلغ ٣٢ مليون نسمة وقد بلغ هذا الرقم في عام ١٩٢٠ بمقدار ٥٥ مليون و ٤٠٠ ألف نسمة وفي عام ١٩٣٠ ارتفع هذا الرقم حتى وصل الى ٦٣ مليونا و ٨٧٢ ألف نسمة ، ازداد في عام ١٩٣٥ حتى أصبح ٦٨ مليونا و ٦٦٢ ألف نسمة .

أما في عام ١٩٤٠ فقد بلغ عدد سكان اليابان ٧٢ مليونا و ٢٠٠ نسمة ، وارتفع في عام ١٩٥٠ حتى أصبح ٨٣ مليونا و ٣٠٠ ألف نسمة .

وفي عام ١٩٥٩ وصل هذا الرقم الى ٩٢ مليونا و ٩٧٠ ألف نسمة الى ٩٣ مليونا و ٤٨٠ ألف نسمة في عام ١٩٦٠ .

لقد ازدادت كثافة السكان من ٩١ الى ٢٥٢ في كل ميل مربع في فترة من الزمن لا تزيد عن ٩٠ عاما ! .

واذا رجعنا الى الوراء الى عام ١٨٩٤ ، نجد أن دكتور « هيرويوكي كاتو » كان يؤكد نظرية « مالتوس » في اليابان ويحذر الشعب من زيادة عدد السكان زيادة مذهلة ، كما أنه حث الحكومة حينئذ على اتباع سياسة للحد من هذه الزيادة بالطرق المشروعة .. ولكن هذه التحذيرات والنداءات لم تجد آذانا مصغية في ذلك الوقت . ويبدو أن الارتفاع في معدل زيادة السكان ، الذي جاء نتيجة للثورة الصناعية ، كان أحد العوامل المشجعة على النهوض بالثورة الصناعية في حد ذاتها ، ففي غضون فترة الرخاء التي جاءت في أعقاب موقف اليابان في الحرب العالمية الأولى ، ارتفع سعر الارز ارتفاعا كبيرا ، مما أدى الى نشـــوب مظاهرة كبيرة عام ١٩١٨ وقد كانت « مظاهرة الارز » هذه هي بداية ظهـــور الوعي الشعبي بحقيقة مشكلة السكان . وقد نجم عن ذلك وقوع منازعات عنيفة في اليابان بين أنصار نظريتي مالتوس وماركس في مشكلة السكان .

وفي عام ١٩٢٥ بدأت الحكومة في اتخاذ اجراءات حاسمة في هذا المجال وأنشأت « مجلس أبحاث السكان ومشكلات التغذية »

وكنتيجة للحرب العالمية الثانية فقدت اليابان ٤٦٪ من مساحتها كما كابدت انهيارا تاما في وضعها الاقتصادي ·· وبرغم الخسائر التي قاستها نتيجة لهذه الحرب فقد حققت زيادة ملحوظة في عدد السكان ؛ فقد ارتفع من ٧٢ر٢ من المليون في عام ١٩٤٥ الى ٨٣ر٢ من المليون في عام ١٩٥٠ أي بزيادة قدرها ١١ مليونا في مدى خمس سنوات · وترجع هذه الزيادة الكبيرة الى ثلاثة أسباب :

أولا ــ اعادة توطين اليابانيين الذين كانوا عبر البحار ويبلغ عددهم ٦ر٣ من المليون ·

ثانيا ــ هبوط الوفيات نتيجة للعلوم الطبية ·

ثالثا ــ ازدياد نسبة المواليد ·

وبرغم التقشف الشديد الذي ساد الفترة التي أعقبت سني الحرب مباشرة ، هبط معدل الوفيات هبوطا سريعا حتى أصبح من ٢٦ر٣ ــ ٩٠ر١٠ لكل ألف شخص ·· كما أن هذا الازدهار في عدد المواليد تسبب في ازدياد نسبتهم ، بحيث أصبحت ٣٤٪ اذا قورنت بـ ٢٩٪ في عام ١٩١٩ ، وكانت نتيجة ذلك أن شهدت اليابان زيادة مضاعفة في عدد السكان لم تشهدها في تاريخها من قبل

وجدير بالذكر أن هذا الازدهار لم يستمر طويلا ، فقد أخذ الاشخاص الحديثو الزواج في تحديد حجم أسرهم ، نظرا لما واجهوه من هبوط في مستوى المعيشة في غضون الأعوام التي جاءت في أعقاب الحرب · فضلا عن أن اجراءات التحكم في درجة الاخصاب عن طريق منع الحمل قد دخلت حيز التنفيذ منذ الحرب العالمية الثانية ، ولكنها كانت مقصورة على طبقة « البيض » فضلا عن ان عملية الاجهاض المتعمد كانت محرمة بمقتضى القانون الجنائي ·

وقد كان الاجهاض في الأزمان الاولى هو الطريقة المتعارف عليها ، اذا ما أراد الشخص تحديد عدد أولاده من الأطفال ·· لذلك فان هذا القانون الذي يحرم الاجهاض قد ينطوي على آثار اجتماعية غاية في الخطورة ، اذ أن الاعداد الضخمة من النساء قد بدأن يلجأن الى قابلات غير شرعيات لاجراء عملية الأجهاض ، الأمر الذي يؤدي في العادة الى نتائج مؤسفة للغاية ، وبرغم ذلك فقد ظل القانون قائما ولم يصرح بصفة رسمية بعمليات الاجهاض ، ولكنها أبيحت تحت شروط معينة تكاد تكون قد شملت جميع المجالات ·· أي اذا كانت هذه العملية ضرورية لأسباب صحية أو اقتصادية أو معنوية ··· الى آخر ذلك من الأسباب ·

وفي عام ١٩٤٨ صدر « قانون رعاية النسل وحمايته » الذي يقضي بأن الطبيب الذي يعتبر عضوا في احدى الهيئات الطبية في امكانه ممارسة عملية الاجهاض أو عرقلة الحمل بالنسبة لأية سيدة بشرط موافقة زوجها ،

ولكن هذا القانون ينص كذلك على اتبـــاع تعليمات جوهرية وارشادات عملية فيما يتعلق بمنع الحمل .

وفضلا عن ذلك فقد افتتحت « مكاتب الاستشـــارة » وألحقت بالمراكز الصحية لتوجيه الارشادات المتعلقة بأمور الزواج ، من حيث رعاية النسل ، ونشر المعرفة الضرورية المتعلقة بأسلم الطرق بالقـدر الكافي : ففي عام ١٩٥١ بدأت الحكومة في وضع برنامج فعال للترويج لفكرة تحديد النسل ، وجنـدت الافراد وأهلتهم من أجل الحـــاقهم بالمراكز التي انشئت خصيصـــا لذلك ، والتي بلغ عددها ٨٤٥ مركزا وقد اشترك في هذه الحملة الجماعية أيضا كثير من المنظمات الخاصة

وفي عام ١٩٥٤ أنشأت الحـكومة « مجلس البحث في مشـــكلات السكان » واتخذ هذا المجلس قرارات قوية ، وطالب بمزيدمن التأييد من جانب السلطات الرسمية ، وقد استجابت الحكومة لجميع هـذه المطالب . وكنتيجة لتلك الجهود المضنية وسرعة احياء الوضع الاقتصادى في البلاد ، أصبحت فكرة تخطيط الاسرة مقبولة ، بل وعلى نطاق عالمى ، فضلا عن أن عمليات الاجهاض قد أخذت في الزوال بطريقة سريعـة حتى اندثرت تماما في عام ١٩٥٥ .

ويوضح الجدول التالى النسبة المئوية للافراد الذين يمارسون عمليات تحديد النسل في اليابان :

العام	نسبة هؤلاء الافراد في الدولة جمعاء	نسبتهم في ٦ مدن كبيرة	في مدن أخرى	في الريف
١٩٥٠	١٩٫٥ ٪	٢٣٫٧ ٪	٢٣٫٦ ٪	١٧٫٤ ٪
١٩٥٢	٢٣٫٦	٣٤٫٨	٣١٫١	٢٢٫١
١٩٥٥	٣٣٫٦	٣٧٫٧	٣٤٫٠	٣١٫٩
١٩٥٧	٣٩٫٢	٤٤٫٥	٣٩٫٥	٣٦٫١
١٩٥٩	٤٢٫٥	٤٧٫٠	٤٣٫٠	٣٩٫٩

وآخر هبوط سجله معدل النسل في اليابان هو ٩٢ ٪ ولـكن هناك عدة عوامل أخرى على جانب كبير من الاهمية ، فقد كانت فترة الحياة بالنسبة للاناث ٥٠ سنة ، والذكور ٤٧ ســنة ، وذلك قبـل الحرب العالمية الثانية ، أما اليوم فقد أصبحت هذه الفترة ٦٥ بالنسبة للذكور و ٧٠ بالنســـبة للاناث .. وفي غضون الســنوات العشر التي شهدت هبوطا في معدل الاخصاب ، ازدادت فترة الحياة بالنسبة للطفل الياباني العادى بمقدار سبعة أعوام ، وبينما هبطت نســـبة المواليد ، بمعدل النصف منذ عام ١٩٤٧ هبطت كذلك نسبة الوفاة وبذلك أصبح معدل الزيادة الطبيعي عشرة أفراد لكل ألف شخص ، وفي الوقت نفسه ازداد دخل الفرد بمعدل مرتين ونصف المرة .

ومن أهم مظاهر هذا الوضع الجديد ، التغيير الواضح في توزيع الاعمار ، فيما بعد عام ١٩٥٥ ، ففي السنوات العشر التي بين ١٩٥٥ و ١٩٦٥ سوف يزداد العدد الكلى للسكان بمعدل ٩٠٠ ألف نسمة في

العام ، ولكن سكان هذا العصر البناء سوف يزداد تعدادهم بمعـــدل مليون و ٣٠٠ ألف نسمة فى العام .

وعلى العكس من ذلك فان تعداد الاطفال الذين هم دون الخامسة عشرة سوف يقل بمعدل ٣٠٠ ألف طفل فى العام ، وذلك بسبب التغيير الذى طرأ على معدل المواليد .. أما تعداد الاشـخاص البـالغين من السكان فسوف يزداد بمعدل ١٠٠ ألف شخص فى العام .

هذا ومن العسير على اى فرد أن يتصور مدى اتســاع وفاعلية تلك السياسة التى اتبعتها اليابان للتحـكم فى عدد السـكان . بل انه لايوجد فى أية دولة من دول العالم سياسة تضاهى تلك السـياسة التى انتهجتها هذه الدولة .

وعلى أساس هذا الاتجاه الحالى فان تعداد السكان فى اليـابان سوف يصبح بحلول عام ١٩٨٠ حوالى ١١٠ ملايين نسمة ، اذا قورن بـ ٩٤ مليونا فى عام ١٩٦١ ، ومع أن مساحة اليابان لا تـكاد تفـوق مساحة السويد الا بالشىء القليل ، فانها تعتبر خامسة دولة فى العالم من حيث كثرة عدد السكان ، فهى تأتى بعد الصين والهند والاتحـاد السوفيتى والولايات المتحدة .

ذلك هو السبب الذى يجعلنا نواصل تذكير أنفسنا بأن التقدير الذى وضعته الامم المتحدة لعدد السكان فى العالم بحلول عام ١٩٨٠ وهو ٤٠٠٠ مليون نسمة ، ماهو الا الحد الادنى لهؤلاء السكان ، اذ ربما يزداد هذا الرقم ، ولكنه لن يقل عن ذلك بأية حال .

الباب السادس
الأرض الطيبة

تبلغ كثافة السكان فى اليابان ٦٣٥ شخصا فى كل ميل مربع، وفى المنطقة الصحراوية الافريقية التى تكاد مساحتها تعادل مساحة الولايات المتحدة ، تبلغ كثافة هؤلاء السكان مايقل عن شخصين فى كل ميل مربع . وتقدر مساحه الاراضى الصالحة للزراعة فى اليابان بـ ١٥ ٪ فقط من مساحتها الكلية ، الامر الذى يتحتم على كل ميل مربع أن يعول ٤٢٨٥ شخصا من أبناء الشعب ـ ومما لاشك فيه أن هناك فى المنطقة القاحلة أراضى صالحة للزراعة تزيد عن ١٥ ٪ من مساحة هذه الصحراء .

وعندما عدت الى الصحراء فى عام ١٩٦٠ عقب انقضاء فترة عشرة أعوام ، وجدت صديقى «جورج دورهن» يمر بحالة من السرور البالغ ، فقد حدث اكتشاف عظيم فى وسط الصحراء ، حيث وجدت منطقة ذات تربة خصبة تكاد تكون فى مثل مساحة بريطانيا . . وهذه المنطقة ـ التى أعرفها بل ويعرفها الكثيرون غيرى والتى تسمى بتانزروفت ـ تعتبر من أكثر مناطق هذه الصحراء جدبا اذ أنها من المناطق الصحراوية التى يكسوها الحصى، ولكن خبراء التربة قد اكتشفوا أن هذا الحصى الذى يكسو منطقة تانزروفت يشكل طبقة سطحية فقط يمكن ازالتها ، وقد وجدوا أن فقر التربة يرجع الى ٧٠٠٠ عام مضت ، حينما كانت الصحراء قبل ذلك العهد تروى رياجيدا وكانت تعتبر من المناطق الخصبة .. وعندما أصاب هذه الصحراء الجفاف والجدب ، أصبحت الطبقة التى يكسوها الحصى تحمى باطن الأرض من أثر الرياح وحرارة الشمس .. وقد أصر «دورهن» على أنه يمكن احياء هذه المنطقة الباطنية مرة أخرى ، اذا توافر لها الماء الكافى ، ويبدو أن « اذا » الشرطية هذه قد تطيح بالعملية كلها وتجعلها كأن لم تكن على الاطلاق !

ولكن منذ عشر سنوات كان «جورج دورهن» ـ الذى يعرف حاليا بأنه أحد كبار خبراء توليد الطاقة الكهربائية فى المناطق الصحراوية ـ كان أحد الأفراد القليلين الذين اقتنعوا بفكرة الـ «البيان نيب» وهى تعتبر ـ من الوجهة الجيولوجية ـ احدى الطبقات المكونة للقشرة الارضية ، وتمتد تحت سطح الأرض الى عمق يكاد يصل الى ألف قدم فى بعض المناطق، ويرى «جورج دورهن» أنه عن طريق هذه المنطقة التى تكسوها الصخور الرملية يمكن الحصول « على نهر من المياه العذبة » فى باطن الصحراء ـ وقد عرف أن هذه المنطقة من التربة تمتد تجاه ساحل موريتانيا، ومنها تمتد إلى أقصى الجنوب حتى تصل الى الصحراء ثم الى تونس وليبيا.

وفى عام ١٩٥٠ كنا نقول : اذا كان الشعب يقدر الماء مثل تقديره

للبترول ، فان في استطاعتنا أن نحصل على الخير الكثير من الصحراء ، ولم نكن قد تكهنا حينئذ بالتطورات التى طرأت على حقول البترول فى الصحراء والتى كانت تعتبر فى عالم المجهول لولا وجود منطقة الـ (البيان نيب) .
فقد كان رجال التنقيب عن البترول يواجهون صعوبات على عمق ٤٠٠٠ قدم فى باطن الارض ، وكانوا فى أثناء عملية التنقيب يخترقون هذه الطبقة المائية حتى يصلوا الى البترول على عمق ١١ الف قدم فى جوف الارض، وبفضل وجود منطقة الـ «البيان نيب»، أصبحت هناك بحيرتان للسباحة من أجل راحة رجال البترول ، فضلا عن الماء الوافر الذى يستخدم فى عمليات التنقيب .. كما استغلت هذه الوفرة فى المياه فى مد مدينة يبلغ تعداد سكانها ٣٠ ألف نسمة بالمياه اللازمة لهـا ، الى جانب رى ٥٠ ألف شجرة من تلك التى تمت زراعتها فى عام ١٩٦٠ - كما أمكن توسيع رقعة الواحات القديمة وأصبحت بمثابة أسواق لهذه التطورات الحديثة ، وقد بلغ انتاج الآبار فى عام ١٩٦١ حوالى ٩٠ مليون متر مكعب من الماء فى العام وكان من الممكن التوسع فى استخدام هذا الماء لولا القيود المحكمة التى وضعها «دورهن» ، ومهما يكن من أمر فانه يمكن اعتبار منطقة الـ «البيان نيب» أعظم مورد للماء فى الصحراء جميعها ، وخاصة اذا ماتمت الأبحاث المختلفة التى تجرى من أجل استغلال المياه فى مختلف المشروعات الهامة التى تؤدى الى احياء الصحراء .

ونتيجة لذلك وجدت منطقة تانزروفت مستودعا دائما للمياه تحت سطح الارض ، وبفضل المياه المتدفقة من الـ «البيـان نيب» أمكن رؤية البرارى المخضرة فى وسط الصحراء .

ولكن هناك ملحوظة تبعث على السخرية يجب اضافتها الى هـذا الاكتشاف المثير : لقد اتخذت فرنسا من منطقة تانزروفت مجالا لاختياراتها الذرية .

ومما هو جدير بالذكر أن تحقيق فكرة الـ (البيان نيب) قد وسعت الاحتمالات أمام بعث الحياة فى مزيد من الصحارى، والبحث عن الثروات الدفينة ، اذ أن الماء أحد هذه الثروات ، فهل يعد الماء ثروة مدفونة ؟

لقد اكتشف العلماء والمتخصصون فى القوى المـائية فى السنوات القليلة الأخيرة أن تسعة أعشار الماء الذى فى هذه الأرض لايوجد داخـل البحيرات او الأنهار أو المجارى المائية ، وانما هو موجود فى الاعماق وتحت سطح الارض .. ان لدى المستودعات الطبيعية طاقات هائلة من بينها أن الماء الذى فى الأعماق بمنأى عن عمليات البخر .

وعند الجانب الشرقى للصحراء تشكيلات الحجر الرملى النوبية ، وهى تمتد شمالا قادمة من افريقية الاستوائية ، وهذه التشكيلات تمـد واحات الصحراء بالماء ، كما تظهر ثمارها فى منخفض القطارة الذى يبلغ حجم ويلز، وهذه التشكيلات تعتبر موردا آخر للمياه ، الى جانب نهر النيل .. فبينما يجرى العمل على قدم وساق فى مشروع السد العالى وما ينطوى عليه من عوامل سياسية وثقافية ، ظهر اقتراح آخر وهو أنه بدلا من بناء سـد ضخم على مستوى النهر الذى يجرى تحت سطح الارض ؛ لابد من بنائه

تحت مستوى النهر مع اجراء عملية حفر على عمق شديد ، ملء مكان الحفر الذى عند « فم » النهر بالقـار والقطران ، وبذلك يمكن للماء أن يندفع الى أعلى ويمد نهر النيل بمزيد من المياه ، كما يؤدى كذلك الى خلق مزيد من الواحات فى المنخفضات الصحراوية .

وقد قدمت مقترحات أخرى خاصة ابان انعقاد «مؤتمر المنطقة الجرداء» الذى دعت اليه منظمة اليونسكو عام ١٩٦٠ بشأن بذل مزيد من الجهود على نطاق دولى ، للقيام باكتشافات جيولوجية فى منطقة شمالى أفريقية حيث هناك من الأسباب الوجيهة ما يجعلنا نعتقد أن تلك الطبقات التى تساعد على اختزان الماء تمتد من البحر الأحمر حتى المحيط الأطلنطى .

ومن الأمور التى تدعو الى السخرية الى حد ما ، أنه عندما اجتمع خبراء ثلاث وثلاثين دولة من ولايات جنوب غربى الولايات المتحدة للبحث فى كيفية استغلال هذا التقدم الحديث فى احياء الصحراء فى الدول المتخلفـة وذلك فى مؤتمر اليونسكو ، وجدوا أن أفضل مناطق الولايات المتحـدة لتطبيق هذه الوسائل تعطى أسوأ مثل لتلك المناطق «الرهيبة» التى يجب تجنبها .. وهناك أمكن عن طريق الرى تحويل المناطق الجرداء الى منـاطق تدر محصولات وافرة ، وذلك بفضل استخدام القنوات والآبار والمضخات التى أصبحت فى متناول يد الأمريكيين كافة وبأسعار زهيدة ، حتى وجدوا أنفسهم حاليا يمارسون عملياتهم فى مياه خليج كاليفورنيا الملحـة ، وقد أصبحت منطقة جنوب غربى الولايات المتحدة اليوم تحصل على قدر من الماء يعادل مايزيد ألف مرة عما كانت تحصل عليه سنويا نتيجة لأحوالها الجوية الطبيعية .

وبرغم هذا التطور الكبير مازالت الطلبات ملحة من أجل مزيد من الماء نظرا للتوسع فى الصناعة ونمو المدن الكبرى ، فقد ظهرت مصانع الطائرات التى تتطلب وجود سـماء صافية خالية من الأمطار وأماكن واسـعة للتمرين كما شجع ذلك أيضا على النهوض بصناعة الفيلم ، ثم تبع ذلك قيام عدد آخر من الصناعات الجديدة التى كان لها الفضل فى اجتذاب الأعداد الضخمة من السكان .

وقد تحولت الأراضى التى كانت تستخدم من قبـل فى الأغراض الزراعية الى مقاطعات غنية تستخدم للسكنى أو للاستغلال الصناعى ، كما انتشرت المدن فى قلب الصحراء ، وكثر عدد المساكن حيث لاتجد المـاء الا بالمضخات .

وفى الواقع أن هناك أكثر من مثل يدل دلالة قاطعة على أنه ما أن تتوافر الحماسة والمعرفة ـ والماء ـ حتى يمكن تحويل الصحارى الى مناطق مزدهرة ، والحصول على محصولات وافرة من الاراضى الصحراوية التى من المؤكد أنها لا تشجع المهندسين الزراعيين الحدثى التخرج على بذل أى جهود للنهوض بها ، نظرا لطبيعة أرضهـا الملحة . ولكن بفضل الجهود التى بذلت منذ مئات السنين أمكن تحويل هذه الارض الى أرض صالحة للزراعة ، كما حدث عندما قام الاتحاد السوفيتى باحياء المناطق الصحراوية المحيطة ببحر «آرال» خلف سلسة «أورال» وهى ترجع الى ٥٠٠٠ عام مضت .

ففى وقت من الأوقات كان أحد فروع نهر أوكسوس الذى يطلق عليه الآن آموداريا ـ يمر عبر تركمانيـــا حتى بحر قزوين وتعتبر الواحات الواسعة مثل طشقند (التى تبلغ كثافة سكانها مليونا و ٣٠٠ ألف نسمة) دليلا قاطعا على خصب الصحراء ٠٠ ونتيجة لمشروعات الرى التى طبقت فى هذه المناطق الصحراوية أمكن الحصول على محصولات تقدر بـ ٨ ملايين طن من القمح و ٦ ملايين طن من بنجر السكر و ٣ ملايين طن من القطن و ½ مليون طن من الأرز ٠

هذا الى جانب المراعى الواسعة التى تستوعب مليونى رأس من الماشية و ٩ ملايين رأس من الأغنام، وهذه الكمية ـ بصرف النظر عن المحصولات الزراعية الأخرى ـ تمثل الغذاء اللازم لمائة مليون فرد من أبناء الشعب.

وهناك مشروع روسى آخر ذو أهمية بالغة ، يهدف الى تحويل نهرى الـ «أوب» ودال نهر «نيسى» ويعرف هذا «بمشروع دافيدوف» ٠

وجدير بالذكر انه عند اتمام هذا المشروع سوف يتم اســـتصلاح مايزيد على ٦٠ مليون فدان من الأراضى الخصبه عن طريق الرى ، وتوفير الغذاء لمائة مليون نسمة أخرى ، كما أن انتـــاج هذا المشروع من القوى الكهربية سوف يعادل أربعة أخماس انتاج الولايات المتحدة الكلى من هـذه القوى ٠

وقد وضع الصينيون عدة مشروعات لاتختلف فى أهميتها عما سبق أن ذكرناه من مشروعات ، وذلك للتحكم فى مياه النهر الأصفر ، اذ يبلغ طول هذا النهر ٣٠٠٠ ميل ، وقد تسبب عبر التاريخ فى احداث عده كوارث نتيجة لكثرة عدد الفيضانات التى يحدثهـــا : مثل الفيضـــان الذى وقع عام ١٩٣٨ والذى تسبب فى تشريد ١٢ مليونا و ٥٠٠ ألف نسمة من ابناء الشعب كما أودى بحياة ٨٩٠ ألف نسمة اخرى

وتهدف الخطط التى وضعها الصينيون للتحكم فى ميـــاه النهر . والسيطرة على هذه الفيضانات ، وتوفير الامكانيات لرى ٢٠ مليون فدان ، وتحسين حالة الملاحة ، وانتاج الكهربا بمعـــدل ١١٠ر٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ كيلوات فى الساعة سنويا أى عشرة أمثال انتاج الصين كلها من الكهربا فى عام ١٩٣٤ ،وتشمل هذه المشروعات أيضا اقامة ٤٦ سدا تتم الخمسة الاولى منها فى عام ١٩٦٧ ٠

وفى الواقع ان أحدى العراقيل التى تحول دون تمكننا من توفير الطعام اللازم لشعبنا هى مشكلة كثرة المياه أو قلتها أو عدمها . وكذلك وجودها فى الاماكن غير الصالحة وفى الاوقات غير الملائمة .. ويتبع ذلك أنه اذا قل الماء قل عدد الافراد ،واذ زادت كمية الماء يكون هناك فى العادة عدد كبير جدا من الافراد ٠٠ ان تجمعات السكان فى الهند وجنوب شرقى آسيا بصفة عامة لا تمثلها كثافة السكان لكل ميل مربع . فأشد المناطق كثافة بالسكان هى تلك التى على طول الانهار أو حول تلك الانهار ٠٠ أما المناطق العليا فلا تستوعب عددا كبيرا نسبيا من السكان. وذلك للمشكلات المتعلقة بالماء التى تواجهها تلك المناطق .

ومن الأمور التى تستحق الذكر أننا فى دراستنا لعمليات استصلاح الأراضى الصحراوية ، نكتشف حقائق جديدة عن النباتات التى تظل «نائمة» فى باطن التربة لمدة خمسة أو عشرة أو خمسة عشر عاما ، وما أن ينزل عليها قليل من الأمطار حتى ترى الصحراء وقد كسيت فجأة بألوان زاهية من الأزهار والنباتات .

وهناك خاصية على جانب من الغرابة بالنسبة للصحراء ، وهى مدى التباعد القائم بين النباتات المتناثرة بين أرجائها ، اذ أننا نجد أنه فى البقعة التى تزرع فيها أية شجرة لا تجد حولها أى نوع آخر من النبات .

لقد تحدثنا كثيرا عن الصحارى الحارة نظرا لما تشكله هذه الصحارى — أو يجب أن تشكله — من خير مباشر للبشرية جمعاء . ومهما يكن ، فمنذ عام ١٩٥٢ ، قدمت أبحاث كثيرة عن طريق «لجنة المنطقة الجرداء» التابعة لمنظمة اليونسكو ..

وفى الواقع أنه قد أصبح فى حوزتنا مجموعة من خلاصة جهود عدد ضخم من العلماء، وتمثل هذه الجهود التى تقدم بها هؤلاء العلماء فى مؤتمر مارس عام ١٩٦٠ أنظمة مختلفة بلغ عددها ٢٥ نظاما .. والمطلوب حاليا من وراء تلك الابحاث والخبرات ، التى دارت حول الصحراء فى ست قارات الوصول الى وسائل تنمية هذه الابحاث وتحقيق النتائج المرجوة من وراء استصلاح الاراضى الصحراوية .

ولكن هناك الى جانب ذلك الصحارى الباردة ، اننا نميل دائما الى اغفال المناطق الشمالية المتجمدة ، ولكن الروس لايتفقون معنا فى ذلك ، بل ان الولايات المتحدة الامريكية قد اعترفت بألاسكا كولاية جديدة ، وهذا بدوره يعتبر اعترافا بأهمية القطب الشمالى .. وبعد أن أمضيت قرابة أربعة أشهر ونصف الشهر فى تلك المنطقة للوقوف على احتمالات مدى صلاحيتها لان تصبح كغيرها من المناطق الآهلة بالسكان فى العالم عدت وقد سيطر على تفكيرى اعتقاد واحد ، وهو اننا متشائمون أكثر من اللازم بالنسبة لهذه الاحتمالات . ويرجع هذا الشعور الى الصورة المبالغ فيها للصعوبات القائمة فى المنطقة القطبية ، والفكرة المضللة القائلة بأنها منطقة يكسوها الثلج والجليد ومنعزلة تماما عن بقية انحاء العالم .. ويصدق هذا بطبيعة الحال على معظم أجزاء جرينلاند حيث يبلغ سمك الطبقة الثلجية ميلين .
أما اذا بعدنا بضع مئات من الأميال عن المنطقة القطبية فى كندا فاننا نجد الارض فى معظم أجزائها خالية تماما من الثلج ولا يسقط الجليد فيها الا فى أشهر الصيف .

واذا توغلنا جنوبا فى ألاسكا نجد أن هناك مساكن لما يقرب من ٩٠٠ عائلة ، وتلك العائلات تعيش هناك على أساس المحصولات الزراعية التى تدخل فى نطاق العمليات التجارية أى عمليات البيع والشراء ..

وتقوم معظم المزارع التى فى ألاسكا ببيع محصولاتها من خضراوات وبطاطس ، ولكن تمكنت مزارع أخرى من تنمية زراعة الحبوب . وبرغم

النجاح الذى حققه هؤلاء الزارعون من وراء زراعتهم فانهم قد كابدوا نفقات ليست بالقليلة ، اذ أن التربة فى هذه المنطقة تحتـــــاج الى قدر كبير من الأسمدة الصناعية ٠

وهناك ثلاث صعوبات تواجه هذه المناطق القطبية (هذا بصرف النظر عن الصعوبات الأخرى التى يتخيلها الناس) :

أولا : قصر فصل الصيف ٠

ثانيا : أشعة الشمس التى تستمر ٢٤ ساعة طيلة فصل الصيف ٠

ثالثا : جدب المنطقة ٠

ويتردد طول الفترة التى يغطى فيها الجليد منطقة الشـــمال الأقصى لكندا مابين ٧٥ و ٨٥ يوما وفيها تسود البطالة جميع مجالات الحياةمن انسان ونبات وحيوان . وبرغم أشعة الشمس التى تظل متوهجة طيلة فصل الصيف وتشكل تحديا سافرا لزراع النباتات فى المنطقة . فقد نمت بعض البقول والمحصولات فى تلك الفترة بفضل استخدام الكيماويات والمواد المشعة .

وكما تسبب طول الفترة النهارية فى ضعف النباتات ، تسبب كذلك فى اقلاق راحة أهالى الاسكيمو الذين أخذوا ينزحون من أراضيهـــم التى غطاها الجليد على خليج هدسون الى جزيرة كورنوول .

ومما هو جدير بالذكر أن خفض منسوب الماء يعتبر بصفة عامة أمرا غير مرغوب فيه ، بل ان هذا فى أغلب الأحيان يعتبر نذيرا بوقوع كارثة مدمرة ٠٠ ولكننا اذا استخدمنا الحكمة فى خفض منسوب الماء فى أجزاء كثيرة من العالم تمكنا من تحويل مئات الملايين من الافدنة الى أراض صالحة للزراعة .. والعكس صحيح . فلقد رأيت عددا كبيرا من الواحات الصحراوية أصابها الجدب وذلك لأن منسوب الماء قد انخفض أى أصبح دون مستوى الينابيع .

ولا يقل الضرر الناتج عن رفع منسوب المياه عنـــــه فى حالة خفض منسوب المياه ، ففى كثير من الحالات أدى الى تحويل ٢٠٠٠ ميل مربع الى مستنقعات ، كما حدث فى شمالى الهند منذ عـــــدة قرون ، عندما حاول المزارعون هناك توسيع رقعة الأراضى الصالحة للزراعة عن طريق الرى ٠٠ ان ملايين من الأفدنة يمكن احياؤها فى الأراضى المنخفضة فى منطقةالسد بالسودان ، حيث يضيع الجزء الأكبر منماء النيل هباء منثورا ، فعن طريق استخدام القنوات فى اعادة توجيه هذا الماء والاحتفاظ به ، يمكننا أن نزيد من حدة تدفق النهر شمالا ، كما يوفر السد الأراضى الصالحة للزراعة ٠

من ذلك نرى أننا اذا استخدمنا الحكمة والذكاء فى تقدير مســـتوى الماء واخلاء الارض من الغابات ، أمكننا تحويل مساحات واسعة من المناطق التى تكسوها الغابات الناتجة عن الأمطار الاستوائية فى أمريكا اللاتينيــة وأفريقية وآسيا الى مناطق ذات أهمية انتاجية ٠

وهناك ، الى جانب ذلك ،المناطق التى تبلغ مساحتها حوالى ٤½مليون ميل مربع من أحسن الاراضى فى أفريقية، فانها تعتبر من المناطق المحرمة على الانسان نظرا للأمراض التى يتسبب نوع من الذباب فى نقلها.. ومن الواضح أننا اذا استطعنا التخلص من هذا الذباب ، أصبحت هذه المناطق مهيأة لقبول عمليات التنمية والاستصلاح ..

وقال عالم نيجيرى : لندع ذباب « التسى تسى » يحرس أرضنا الطيبة حتى نعلم شعوبنا وسائل أفضل ! .

وفى تلك اللحظة كان ١٠/١ سطح التربة فقط هو الذى ينتج مواد غذائية أو محصولات صناعية ، بل ان ٦ر٥ ٪ فقط من هذه المساحة هو الذى يدخل فى نطاق الأرض المزروعة ، أما الباقى فهو عبارة عن مراع .. ولكننا لابد أن نضع فى اعتبارنا كذلك أن هناك من الوسائل التى تستخدم فى الزراعة مايؤدى الى تدمير التربة ، نظرا لان تلك الوسائل لاتقوم على أسس سليمة ولا تنفذ طبقا لتخطيط سليم .

ودائما ماتساق ، على سبيل المثال ، عمليات التخريب التى حدثت فى الولايات المتحدة ، ولكن فى الواقع أن هذا يصدق بالنسبة لجميع الدول فى العالم .. فى الصين ، فى اليونان ، فى شمالى أفريقية ، فى المكسيك .. الخ ولكن أمريكا كانت أبرز مثل على ذلك ، ففى غضون فترة تقل عن مائة عام تعرض ١٠٠ مليون فدان من الارض التى كانت تزرع للتآكل الشديد ، على حين تأثر ٢٨٢ مليون فدان من المراعى تأثرا بالغ الخطورة ، هذا بصرف النظر عن ٧٧٥ مليون فدان أخرى أصابها التآكل .

ومن ذلك نرى أن الضرر أصاب ٠٠٠ر٠٠٠ر١٩٠٥ر١ فدان ، ثم تعرضت التربة بعد ذلك لكثير من العمليات من أجل الحصول على الغذاء الرخيص للعمال الصناعيين فى أوروبا وأمريكا .

ان مانحن فى أمس الحاجة اليه هو مراجعة كشف حساب التربة مراجعة سليمة . لمعرفة المساحات التى فقدناها من هذه التربة ، وتلك التى يمكن استرجاعها .. وقد أمكن تطبيق ذلك بدقة فى بريطانيا عن طريق مشروع «تقدير مساحة الاراضى المستغلة» الذى تقدم به البروفسور « ددلى ستامب » فى ثلاثينيات القرن التاسع عشر .

أما الاتحاد الجغرافى «الدولى» فقد بدأ — بمساعدة مادية من جانب اليونسكو — بتنفيذ مشروع «مسح الاراضى الصالحة للاستعمال» ويشمل جميع أنحاء العالم ، مع تنصيب البروفسور «ستامب» فى منصب رئيس شرف للمشروع .

اذن نستطيع القول بأننا لم نعد نتجاهل الامكانيات التى فى الصحارى أو نسلم بالظروف المناخية التى كانت من قبل عاملا مثبطا لعزيمة الشعوب التى سبقتنا ، ولكننا تمكنا فى الوقت الحاضر بفضل مااكتسبناه من معرفة ووسائل حديثة من التغلب على هذه الظروف والمصاعب ، اذ ان بقاء الفرد يتوقف على مدى نجاحه فى صراعه ضد قوى الطبيعة التى تسيطر على بيئته ووقوفه منها موقف التحدى .. وهذا ما استطاع أن يحققه الانسان الحديث فى يومنا هذا بفضل ما أوتى من ذكاء وما اكتسبه من خبرة .

الباب السابع
صراع الحياة

تعتبر الطبيعة مجالا للتنافس من أجل البقاء بين ملايين وملايين من الكائنات التى تنتمى الى هذه الارض ، كما ننتمى اليها نحن بنى الانسان

ونحن نتناسى أن السكان الذين يستوعبهم العـــالم ليسوا مجرد الأجناس البشرية أو الحيوانات المستأنسة ، بل ان العالم ملىء بالطيور والحشرات وملايين من الكائنات الأخرى التى نطلق عليها الآفات أو الأوبئة اذا ماسببت لنا أى حرج ٠

ومما هو جدير بالذكر أن هناك مساحات من الاراضى لا يكاد حجم الواحدة منها يزيد على حجم كرة القدم ، فى حين نجـد أنها تستوعب من الكائنات مايزيد على عدد الافراد الموجودين على سطح كوكبنا هذا .

وأبرز بل أســوأ مثل على ذلك هو الجراد الذى تحمله الرياح الشرقية الى القطر المصرى بأعداد ضخمة تغطى مساحات واسعة من سطح الارض ٠٠ ان الانسان نفسه مسئول الى حد كبير عن هذه «الزيارة» ٠٠ بل لقد كان الجراد هو الضريبة التى دفعت فى سبيل زراعة وادى النيل ٠

وتعتبر عبارة «الجراد الصحراوى» تسمية خاطئة ، اذ أن الجرادلايضع بيضه فى الاراضى الرملية الجافة ، بل انه يحتاج الى درجة عاليـة جدا من الرطوبة ٠ فضلا عن أن صغار الجراد تتغذى على النبـاتات الخضراء التى تنبت عادة عقب سقوط الأمطار . أما فى حالة اكتمال نمو هذه الحشرات فانها تحتاج فى معيشتها الى ظروف جوية تتميز بالجفاف فى حين تحتـاج الى هواء رطب وعشب أخضر من أجل اتمام نضجها الجنسى ٠

من ذلك نرى أن الجراد لايتكاثر فى المناطق الصحراوية الجافة بل فى البحيرات بجميع أنواعها ٠٠ وتتحكم العوامل الجوية فى هجرة الجراد ، اذ أنه كما يحتاج الى رياح تحمله الى أماكن بعيدة ، فانه يحتـاج أيضا الى الأمطار التى عادة ماتصاحب هذا النوع من الرياح ، لذلك فان الجهود التى يبذلها الانسان من أجل الزراعة تعتبر مسئولة عن نمو وباء الجراد ، ففى غضون الأعوام الأخيرة تحول أحد مشروعات الرى التى نفذت فى محمية عدن الى أرض خصبة لتكاثر الجراد ! ٠٠ فضلا عن أن المناطق المزروعـة الممتدة على جانبى البحر الاحمر فى اريتريا والسعودية واليمن قد أصبحت مهدا لتربية الجراد الصحراوى ٠٠ ان الزراعة تساعد على ارتفاع نسبة الجراد الذى يؤدى بدوره الى اهلاك هذه الزراعة والقضاء عليها !

وتعتبر الزراعة المتنقلة التى يعيش عليها البدو الرحل فى الصحراء

التى فى شبه الجزيرة العربية من العوامل التى تساعد على زيادة الاضرار التى يسببها الجراد ، والتى قد تقضى على المحصولات التى يعيش عليهـــا الملايين ، وقد اتخذها الجراد موطنا له !

ان ظهور جماعة من الجراد فى شرقى أفريقية كفيلة بأن تقضى على روسيا أو ايران أو باكستان ، اذ أنه لايمكن أية دولة فى العالم أن تكون فى مأمن طالما أنها فى نطاق مناطق الجراد فى العالم ·

ولن يحول دون انتشار خطر هذا العدو سوى وجود « تحالف كبير» على مستوى دولى ·

ومما يدل على أنه فى الامكان تحقيق ذلك ، ماحدث ابان الحرب العالمية الثانية عندما تم تكوين تعاون جماعى استطاع أن يضع حدا لانتشـــار الجراد ·

وجدير بالذكر أن هذه الحملة قد نظمت على مستوى عســكرى فى الشرق الاوسط . وقد ساهمت بريطانيا والولايات المتحدة فى هــذه الحملة بالمشرفين والفنيين المدربين وآلاف الجنود المزودين بـ ٥٠٠ عربة للقيام بدوريات فى منــاطق الجراد والمســارعه الى نجدة أية بقعــة تتعرض للتهديد ، كما ساهم الاتحاد السوفيتى بطائرات أعدت خصيصا لرش المناطق التى يتكاثر فيها الجراد ، وكذلك ساهمت فى هذه الاجراءات جميع الحكومات التى فى نطاق هذا الخطر ، الأمر الذى أدى الى نجاح المشروع نجاحا منقطع النظير .

وفى ربيع عام ١٩٥١ أمكن – عن طريق مشروع جماعى مماثل – انقاذ ايران من أسوأ غزو قام به الجراد طيلة الثمانين سنة الأخيرة · لقد كانت الحشرات تتكاثر فى مساحة تبلغ حوالى ٢٠٠٠ ميل مربع من الاراضى التى يصعب الوصول اليها · وما ان مرت عشرة أيام على اعلان الخطر حتى سارعت الولايات المتحدة بارسال طائرات ومبيدات جديدة أكثر قوة ، ممــا قضى على الجراد قضاء مبرما ·

وجدير بالذكر أن مكافحة الجراد لاتتطلب مجرد القاء الطعم لجماعات الجراد أو رشها بالمبيدات عن طريق الجو ، وانما تتطلب أيضا بحثا دقيقا فى حياة هذه الحشرة وعاداتها ، اذ أنها تعتبر أداة حية فعالة للتدمير ·

ومن سوء الحظ أن عوامل الصراع السياسى التى سادت منطقــة الشرق الأوسط فى الأعوام الأخيرة قد زادت من صعوبة عملية القضاء عـلى الجراد أو السيطرة عليه ·· لقد كان فى امكان منظمة الأغذية والزراعــة التابعة للأمم المتحدة ، الى جانب التعاون التــام من جانب الحــكومات ، وتخصيص مبلغ مليون جنيه ، أن يوضع مشروع فعال للقضاء على الجراد ، ولكن جملة التكاليف الأصلية تبلغ عشرة أمثال هذا الرقم ، بل ان هذا الرقم ماهو الا جزء ضئيل من تكاليف المواد الغذائية التى يصيبهـــا الدمار اذا ماأطلق سراح الجراد ·

ومما يذكر أننا عندما واجهنا مجاعة دولية فى عام ١٩٤٦ ، كان هناك نقص فى الحبوب وما يعادلها ، ومن هذه الحبوب الارز الذى يعتبر الغذاء

الرئيسى لـ ٧٥٪ من الشعب الآسيوى. وقد قيل لنا فى مؤتمر «المجاعة» الذى دعا «بويداور» الى عقده فى واشنطن : ان هناك نقصا يعادل ١٢٫٥ مليون طن من الأرز ، نتيجة لعمليات التدمير والنهب التى صحبت الحرب ولكن هذه الكمية تعادل كمية الأرز التى تفسد سنويا فى أثناء فترة التخزين للآفات التى تجتاح حقول الأرز وتصيب مزيدا من هذه الكميات ·

ولقد كانت المجاعة التى حدثت فى الهند عام ١٩٤٣ نتيجة للأمراض الفطرية التى أدت فى بعض المناطق الحساسة الى خسارة تقدر بـ ٩٠ ٪ من المحصول · وعادة ماتحدث الاصابة فى النباتات الصغيرة بالهند فى الفترة مابين ١٤ و ١٥ من اكتوبر ·· وقد تمكن العلماء فى الوقت الحاضر من زراعة أنواع من الأرز من تلك التى يمكن أن تنمو خارج حدود هذه الفترة الحساسة ·

وقد أوضحت منظمة الأغذية والزراعة بالأرقام ــ وهى بعيدة عن التصديق ــ مدى الهلاك الذى يصيب الأرز والحبوب التى تستخدم فى الخبز نتيجة للفئران والحشرات والفطريات التى تؤدى الى تدمير ٣٣ مليون طن من الاغذية الرئيسية سنويا .. وهذه الكمية كافية لاطعام شعب الولايات المتحدة لمدة عام .

واذا نظرنا الى الوضع على مستوى دولى ، فاننا نجد أن شخصا واحدا من بين ١٤ شخصا عرضة للموت كل عام نتيجة للجوع الناجم عن نقص المواد الغذائية التى استهلكت فى تغذية الآفات .

وفى الولايات المتحدة ــ برغم جميع الاحتياطات والخدمات الزراعية المتوافرة هناك ــ تقضى هذه الحشرات على عشر محصول المواد الغذائية قبل اجراء عملية الحصاد · وهذا يعنى ــ اذا نظرنا اليه من وجهة النظر الدولية ــ أن آفات الحقول تلتهم من المواد الغذائية مايعادل عشرة أمثال الغذاء اللازم لاطعام الزيادة السنوية التى تطرأ على عدد السكان ·

وقد تعرضت الحيوانات الغذائية أيضا للأمراض ، بل لقد بلغت قيمة الخسارة التى منيت بها هذه الحيوانات فى جميع انحاء العالم ، نتيجة لاصابتها بالأمراض ، مايزيد على ألف مليون جنيه ، وقد بلغت قيمة هذه الخسارة فى أوروبا برغم الخدمات البيطرية الجيدة حوالى ١٥ ٪ من جملة الانتاج السنوى ·

وجدير بنا ان نذكر فى هذا المجال ــ مجال الآفات التى تصيب المواد الغذائية ــ مرض الملاريا. . وقبل أن تنفذ برامج القضاء على الملاريا، كان البعوض هو المسئول الأول والأخير عن اصابة ٣٠٠ مليون فرد بالمرض ووفاة حوالى ٣ ملايين آخرين فى جميع أنحاء العالم ·· بل ان أثره يكون أشد فداحة من ذلك وخاصة فى المناطق التى يتخذها موطنا له ، فانه فى هذه الحالة يكون أحد الاسباب الرئيسية فى نقص المواد الغذائية. وفى البلاد الاستوائية غالبا مايصادف موسم الملاريا الفترة التى تتم فيها عملية شتل محصول الأرز أو حصاده أو كليهما معا ·· وفى هذه الفترات الحرجة يلازم اثنان من كل ثلاثة من الزارعين الذين يعملون فى الحقول فراشهم نتيجة لاصابتهم بالحمى ، الأمر الذى يؤدى بدوره الى سوء المحصول ·

وقد بلغ خطر هذه الآفة مداه فى شمالى تايلاند عندما صادف موسم الملاريا موسم الزراعة الثانية فقد اضطر الفلاحون الى التخلى عن هـذه الزراعة التى كانت ستساعد كثيرا فى تغذية الشعوب الفقيرة فى جميع أنحاء العالم تجنبا لموسم الملاريا .. بل لقد حدث فى شرقى باكستان أن تعرضت المنطقة لموسمين من مواسم الملاريا ، وكان التحكم فى الوباء هناك يعنى زيادة بعض المحصولات بنسبة تزيد على ٥٠ ٪ مع عدم توسيع رقعة المساحة الموجودة .

وعندما يشير البعض الى أن التحكم فى انتشار وباء الملاريا عن طريق انقاذ حياة الأفراد يعنى زيادة مشكلة السكان تعقيدا ، فانه من الأفضـل استرعاء أنظارهم الى أن هذا من الممكن أن يعنى كذلك زيادة انتاج المواد الغذائية، وذلك بتطهير المناطق التى ينتشر فيها هذا الوباء واعدادها للزراعة ، كما حدث فى بعض أجزاء من أفغانستان والهند، وكذلك عن طريق المحافظة على صحة الفـلاحين حتى يستطيعوا الحصـول على محصولات أفضل .

ومما هو جدير بالذكر أن هذا الصراع مع الآفات يمتد ـ كما قال سير «اليستر هاردى» فى الجمعيات البريطانية عام ١٩٦٠ ـ الى البحـار وما تحتوية من مواد غذائية نحن فى أمس الحاجة اليها .. أورد على سبيل المثال انتائج التى توصل اليها عالم الاحياء المائية دكتور «جنرثورسون» والتى أثبتت أن الحيوانات اللافقرية ـ مثل صايب البحر ـ تلتهم كميات هائلة من الاسماك الصالحة للغذاء ، وتتردد نسبة الاسماك التى تلتهمها هذه الحيوانات المائية بين ١ و ٢ ٪ من الاسماك الغذائية التى فى البحار .

وبرغم أن المحيطات تغطى سبعة أعشار سطح الكرة الارضية فاننا لم نتعمق البحث فيما تحتويه أعماق هذه المحيطات من مصادر الثروة المائية اننا نقوم باصطياد الأسماك التى من السهل الوصول اليهـا ، بل نقتفى أثرها فى جميع أنحاء العالم ، ولكن هناك الى جانب ذلك المحيطات العميقة التى لا نعرف عنها قدر ما نعرفه عن وجه القمر .. وتصل كمية المواد الغذائية التى تخرجها البحار سنويا الى مائة ألف مليون طن ، فى حين أن ٣٠ مليون فقط من هذه الكمية صالحة للأكل فى جميع أنحاء العالم ، هـذا اذا قارنا هذه الكمية بكمية الخضراوات التى تقدر بالف مليون طن وبكمية اللحوم الحيوانية الغنية بالبروتينات التى تقدر بـ ٥٠ الى ١٠٠ مليون طن .

وهناك مشكلة على جانب كبير من الأهمية بالنسبة لهـذه الثروة السمكية : وهى كيفية المحافظة عليها ، ومنعها من الهجرة ، وتحديد أماكن أقامتها ..

ومن الاقتراحات التى قدمت فى هذا الشأن اقامة محطة لتوليد الطاقة الذرية بالقرب من البحيرة ، وذلك لاستخدام الحرارة الضائعة فى تدفئـة المياه لتشجيع الأسماك على عدم الهجرة فى فصل الشتاء بحثا عن أماكن دافئة فى مياه المحيطات ، فضلا عن ان اجراء عملية تسميد فى هذه المناطق يشجع على نمو الاغذية السميكة التى تتغذى عليها هذه الاسماك ، الامر الذى يشجعها من ثم على عدم الهجرة .

ومن المقترحات التى من الممكن تنفيذها كذلك وضع سياج حول بعض المناطق المراد المحافظة على مابها من الأسماك ·

وهناك طريقة أخرى تقوم على أساس تمرير تيار كهربى فى المياه لمنع الأسماك من مغادرة المنطقة ·

ان عملية تسميد البحار - كما هى الحال بالنسبة للأراضى الزراعية - تتطلب مجهودا ونفقات طائلة ، ولكن المياه الراكدة فى قاع البحار - كما قال سير اليستر هاردى - غنية بالمواد الغذائية التى لم تمسسها يد الانسان - ويقترح سير «أليستر» اجراء عمليه حرث بالغواصات لتمكين هذه المواد الغذائيه المكدسة فى قاع المحيطات من أن تطفو على سطح الماء حتى تستطيع الأسماك الحصول على غذائها الكافى من هذه المواد ·

ومن أضخم الخطوات التى اتخذت فى سبيل تطوير الثروات الكامنة فى البحار ، تكوين «اللجنة الخاصة بالابحاث المتعلقة بمياه المحيطات التابعة للمجلس الدولى للاتحادات العمالية» وهى من الهيئات التى تدخل تحت رعاية منظمة اليونسكو . وقد أخذت هذه اللجنه على عاتقها مهمه الكشف فى مياه المحيط الهندى ·· وقد استخدمت اللجنة فى عملية الكشف أسطولا مكونا من ٢٣ سفينة من ١٥ دولة ، وبلغت تكاليف هذه العملية التى استغرقت أربعة أعوام حوالى ٤ ملايين جنيه وكان الهدف هو كشف ٢٨ مليون ميل مربع من البحار التى تحيط بها أكثر الدول كثافة بالسكان فى جميع أنحاء العالم ··

ومن الامور التى تدعو الى الدهشة أن يفكر الفرد فى مدى تفاهة المعلومات التى يعرفها عن البحار التى مافتئت السفن تعبرها منذ قرون لاتحصى ولا تعد ·· وقد أثبتت عمليات الكشف والتنقيب أن هناك فى قاع المحيطات متحفا يضم مختلف أنواع الأسماك التى تزخر بها هذه المحيطات ، وهذا يعتبر فى ذاته أقل أهمية من اكتساب شىء من المعرفة حول الأغذية السمكية التى فى هذه المنطقة ·

ان هناك - فى مجال العلم - الكثير من الحلول لمشكلة اطعام الشعوب. بل ان بعض هذه الحلول قد ينطوى على آثار بعيدة المدى·· ولقد رأينا كيف استطعنا الحصول على محصولات وافرة من الصحارى الرملية وذلك بفضل استخدام الاساليب العلمية فى احيائها ، فضلا عن أن مصادر الارض الطبيعية اذا ماوجدت الأيدى التى ترعاها بحكمة وعلى أسس علمية سليمة، فانها تسد جميع احتياجاتنا الانسانية · ولا بد أن نكرر مرة أخرى أن المسألة ليست مسألة افتقار الى المعرفة ، بل هى مسألة ضيق الوقت الذى يجعل مشكلة اطعام الملايين المتزايدة من أهم المشكلات التى تواجه العالم أجمع ·

الباب الثامن
سياسة الجوع

من الأمور التى بدت واضحة تماما أمام أعين الساسة فى نهاية الحرب العالمية الثانية ، أن هناك عاملين يشكلان خطرا جسيما على البشرية جمعاء ، بل ربما يفوقان فى أهميتهما الحدود الوطنية لأية دولة ·· هذان العاملان هما القنبلة الذرية والتهديد بحدوث مجاعة ؛ وقد دعت الجمعية العامة للامم المتحدة فى أول جسة لها الى اتخاذ الاجراءات الكفيلة بتجنب هذين العاملين ·· وبناء على ذلك شكلت لجنة الطاقة الذرية التابعة للأمم المتحدة ·· ونحن نعرف جيدا ماحدث لها كما عقد مؤتمر المجاعة فى عام ١٩٤٦ ·

وفى اكتوبر عين «جون بويد أور» مديرا عاما لمنظمة الأغذية والزراعة وهى تعتبر أول هيئه تنشئها الأمم المتحدة ، ولم يستقر فى واشنطن حتى تلقى فى عمله الجديد برقية دعوة من الجمعيه العامة للامم المتحدة ، وهنا دعا «أور» الى عقد مؤتمر يضم الدول الاستهلاكية والدول المنتجة ولكنه واجه معارضة شديدة بدعوى أنه يحاول تقويض صرح المنظمة الجديدة · وبرغم أنه وجه الدعوة الى ١١ دولة فقط لحضور المؤتمر فان عدد الدول التى حضرت قد وصل الى ٢٣ دولة ·· وقد قام خبراؤه للمرة الأولى بجمع الحقائق والأرقام عن حالة التغذية فى العالم أجمع ، ثم قام هو بدوره بمواجهة رجال السياسة بها ، وقد دلت هذه الحقائق والأرقام على عدم وجود مجاعة برغم أن الشعوب لم تكن تحصل على الغذاء بالقدر الكافى ·

لقد وصلت التضحية من جانب الدول أن قبلت القوانين التى تقضى بحرمانها من بعض المواد الغذائية وتوزيع المدخر بين الشعوب المحتاجة بل لقد وصل الامر فى بعض الاحيان الى تطبيق نظام البطاقات كماحدث فى بريطانيا ·

وقد تمخض ذلك المؤتمر عن شيء آخر ، فعندما ووجهت الدول بهذه الحقائق ، أصرت على عدم اتخاذ مثل هذه الاجراءات مرة أخرى وقامت بتشكيل هيئة مؤقتة وهى «المجلس الدولى للمعونة الغذائية» ومهمته توزيع الغذاء على أساس المساواة بين الشعوب المحتاجة فى جميع أنحاء العالم · ولكنها قامت أيضا باصدار تعليماتها الى « بويد أور » باعداد الخطط من أجل تكوين هيئة دائمة تقوم مقدما بتقدير الاحتياجات الغذائية السنوية وتهيئة السبل التى تضمن توافر هذه الاحتياجات وان المنتجات توزع توزيعا عادلا ، ثم كان أن قام بويد بتكوين «لجنة التغذية الدولية» ·

وبعد مرور أربعة أشهر قدم المدير العام مشروعه الى الدول الأعضاء

فى منظمة الأغذية والزراعة ، ويبلغ عدد هذه الدول ٥٠ دولة ٠٠ وقد نادى بتكوين لجنة تضم كلا من منظمه الأغذية والزراعة والمجلس الاقتصادى والاجتماعى والبنك الدولى للانشاء والتعمير على أن تقوم ـ بالتعاون فيما بينها ـ بتنفيذ الآتى :

١ ـ مساعدة كل دولة ـ بناء على طلبها ـ وخاصة الدول المكتظة بالسكان والدول المتخلفة ، على زيادة انتاجها الغذائى حتى تصبح الامدادات الدولية متكافئة مع الاحتياجات الانسانية ٠

٢ ـ بناء احتياطى من المواد الغذائية حتى يمكن المساواة بين المحصولات الجيدة والمحصولات الرديئة .

٣ ـ استغلال هذا الاحتياطى وغيره من الاجراءات المقترحة فى تثبيت أسعار المواد الغذائية على أسس عادلة بالنسبة للمنتج والمستهلك على السواء وقيام اللجنة بشراء الفائض فى حالة جودة المحصول ثم بيع هذا الفائض فى حالة رداءة المحصول .

ويرى «بويد أور» أن الخطة أكثر من مجرد مشروع عاطفى انسانى لاطعام الشعوب الجائعة .. انه يعطينا حلا لأهم مشكلات العالم الاقتصادية . الا أن ايجاد سوق دولية للأغذية على نطاق واسع وطبق ضمانات كافية كفيل بتحقيق الرخاء والاستقرار بالنسبة لمنتجى هذه الأغذية .

ان النهوض بالزراعة الدولية يتطلب عدة عوامل منها الحصول على كميات هائلة من المنتجات الصناعية ، ووضع المشروعات من أجل السيطرة على الفيضانات ، وتنفيذ المشروعات الزراعية ، والحصول على السلع الاستهلاكية لمواجهة الزيادة الهائلة فى عدد الدول المشترية للمنتجات الغذائية ٠

ومما هو جدير بالذكر أن مثل هذه التطورات يتطلب مبالغ طائلة لتمويلها ، ولكنه أشار الى أن البنك الدولى قد خلق خصيصا لهذه الاغراض ، فضلا عن أن الاموال المستثمرة سوف تستغل فى خلق ثروات جديدة عن طريق النهوض بمصادر الثروة التى فى الدول المتخلفة ٠

ويرى « بويد أور » ان التوسع السريع فى الاقتصاد الدولى بدرجة تجعله يستوعب الزيادة الكبيرة التى تطرأ على الانتاج الزراعى والصناعى، هو البديل الوحيد للبطالة التى تؤدى الى أزمة اقتصادية أخرى على درجة بالغة من الخطورة ٠ أو ربما تؤدى الى أزمة اقتصادية أكبر ، أو قد تؤدى الى استيعاب العدد المتزايد من المتعطلين بتشغيلهم فى التسلح ، الامر الذى يؤدى الى حرب عالمية أخرى ٠

ان الديموقراطية كلمة جوفاء لامعنى لها بالنسبة لأصحاب البطون الخاوية ، أو كما قال بويد أور لرجال السياسة الغربيين : « ان ماتتظاهرون به من اطلاق لفظ «الشيوعية» عليه فى الدول المتخلفة انهو الا الجوع عندما يعبر عن نفسه ٠»

وفى عام ١٩٤٦ ، أشار فى مذكرة له الى أن الفشل فى تنفيذ

الاجراءات الخاصة بالقضاء على الجوع والفقر ، قد يؤدى الى انتشار الشيوعية التى تستطيع أن تعد بانتاج ماسيحتاج اليه الناس فى الاستهلاك ٠٠ وشعاره فى ذلك هو أنه : « ان لم تتمكن الدول من التعاون فى مجال توفير الغذاء فانها لن تتعاون فى أى شىء آخر على الاطلاق » ٠

وقد كنت من بين الذين حضروا المؤتمرات السياسية التى عقدت لمناقشة أهداف « هذه التغذية الدولية » بكل ما تنطوى عليه من اعتبارات وطنية ٠٠ ومن الأمور التى تستحق الذكر أننى لم أسمع خطابا واحدا أشار الى هذه اللجنة بسوء من قريب أو بعيد .. بل لقد أشار الجميع بنبل أغراضها .. وقد جاء فى الخطاب الذى ألقاه فى كوبنهاجن « فيوريللا لاجارديا » عمدة نيويورك ، الذى تولى بعد ذلك منصب المدير العام للجنة الغوث الدولية قوله : « انقذوا الأرواح البشرية من آخر أخبار الأسواق المالية » ، مشيرا بذلك الى ضرورة انقاذ الشعوب الجائعة والزارعين فى جميع أنحاء العالم من أيدى هؤلاء الذين يتحكمون فى أسعار الحبوب ٠

وقد أدى هذا التصريح الى زعزعة الجمود الذى يحيط بهذه المشكلة .. اذن أن الخبراء الاقتصاديين ذوى الأفكار التقدمية يرون انه نظرا للأغراض المصرفية الدولية لابد آن يعتبر الغذاء من الاستثمارات الرأسمالية فى أى مشروع من المشروعات ٠٠ ان عمليه اطعام العمال لمساعدتهم على القيام بأعمال أفضل لا تقل فى أهميتها عن تزويد عملية بناء السدود بالمواد اللازمة لذلك ٠

ومن المقترحات التى قدمت انشاء مراكز اقليمية فى جميع أنحاء العالم لمواجهة أزمه هبوط المحصول فى أية منطقة محلية ٠

وبالرغم من أن المشروع يقضى — طبقا لاحتياجات المستهلكين المتوقعة — بأن يقوم المنتجون الزارعون ، مثلا بتوسيع أو تحديد مساحة الأراضى المزروعة ، فمن المتوقع أن يسفر هذا — حتى فى أكثر الميزانيات الدقيقة — الى فائض طبيعى ٠٠ ففى استطاعة المحصولات أن تحقق زيادة فى المواسم الزراعية المزدهرة بصفة استثنائية ، ويمكن وضع هذه الزيادة ضمن الاحتياطى ٠

وجدير بالذكر أنه لا تطرح فى الأسواق العالمية سوى ١٠٪ فقط من المواد الغذائية فى العالم أجمع ، أما الباقى فيباع ويستهلك محليا ٠٠ وكيفية استغلال هذه النسبة الضئيلة هى التى تحقق الازدهار أو الهبوط فى اسعار المواد الغذائية ٠٠

ويقضى المشروع بأن تقوم هيئة التغذية الدولية بتحديد اسعار المواد الغذائية الرئيسية ، وضمان أسعار عادلة لكل من الزارع والمستهلك ، وتكون الأسواق فى هذه الحالة ملزمة بالعمل داخل نطاق هذه الحدود ٠

ويبدو هذا منطقيا للغاية برغم أنه لا ينطوى على آثار بعيدة المدى.

لقد أخذ « المجلس الدولى للأغذية » فى تأدية مهمته على أكمل وجه فى حدود النظم السياسية طبقا لما يقتضيه ضغط المصالح الفردية ٠٠ ولكنه ساعد على موازنة الموقف ، وعلى الأخص بالنسبة لتدعيم الأعمال الجليلة

التى تقوم بها وكالة غوث اللاجئين التابعة للأمم المتحدة ، والتى كانت قد توقفت عن ممارسة نشاطها فجأة دون الاعتراف بما حققته من أعمـال عظيمة ، لا بوصفها تقوم بعملية الاغاثة مباشرة فحسب ، بل بوصفهاأيضا تساعد الدول التى مزقتها الحرب على استمرار الاحوال الزراعية بها .

ومهما يكن فعندما بدأت عملية صبغ هيئة التغذية الدولية بالصبغة الرسمية ثارت الدول لما تتضمنه هذه العملية من تضحية بسيادتها الى حد ما ، وقد استخدمت جميع الحجج سواء أكانت وطنية أم ادارية أم تجارية ، فى عرقلة أعمال اللجنة التى كان من المفروض أن تقوم بوضع التفصيلات العملية المتعلقة بهذا الموضوع ، وبذلك نرى أن نذر الشر التى كانت واضحة فى مؤتمر المجاعة ، قد زالت للنجاح الكبير الذى حققته الاجراءات الطارئة التى اتخذت . وقد تكهنت الدول المستهلكة من أمثال بريطانيا بأن هذا الانتعاش قد يؤدى الى رخص المواد الغذائية .

أما الدول المنتجه من أمثال الولايات المتحدة وكندا والارجنتين فقد تكهنت بارتفاع أسعار هذه المواد . ولم يكن أى من هذين الفريقين على استعداد لتقبل الاسعار التى حددتها هيئة التغذية الدولية ، بل لقد استمرت بريطانيا فى الانفاق بسخاء من أجل الحصول على المواد الغذائية ، على حين أخذت الولايات المتحدة فى تمويل المشروعات التى تؤدى الى تدعيم الأسعار، وذلك من أجل المحافظة على أسعار السوق .

ان ٤٠٠٠ مليون الدولار التى اضطرت حكومة الولايات المتحدة الى انفاقها فى شراء منتجات المزارع لكى تبقى فى المخازن وتتعفن ، أكبر بكثير من المبلغ الذى كان العالم كله سيحتاج الى جمعه لتنفيذ مشروع هيئة التغذية الدولية ويحقق ذلك التطور الذى تكهن به « بويد أور » .

وكل ما أمكن الوصول اليه هو تشكيل مجلس يسمى « مجلس التغذية الدولية » وليس هو الا صورة هزيلة للمشروع الاصلى ، وتسمية أخرى للهيئة التنفيذية لمنظمة الأغذية والزراعة .

وعندما رأى « بويد أور » انه فشل فى تحقيق أهدافه ، اعتزل منصبه كمدير عام للمنظمة . وقد حصل على جائزة نوبل للسلام ، التى ان دلت على شىء فانما تدل على أن بعض الأفراد على الأقل قد أدركوا المعانى النبيلة لمقاصده .

وقد استمرت هيئة الاغذية والزراعة فى تنفيذ مشروعاتها فى جميع أنحاء العالم بفضل مساعدة الأمم المتحدة لها فيما يتعلق « ببرنامج المعونة الفنية » .

كما قامت بتزويد الحكومات بالمستشارين الفنيين ومختلف المشروعات التى توضح الطريق السليم الذى يجب اتباعه .. ولكن هـذه « المعونة الفنية » ـ كما اتضح فى مجالات أخرى غير الزراعة ـ من المحتمل أن تصبح مجرد وجهة نظر للشعوب ما كان فى استطاعتها أن تحققه اذا توافرت لديهم السبل لذلك ، انها تضع حاجزا زجاجيا بين ما هو ممكن التحقيق ، وما تستطيع الشعوب الحصول عليه .

والى جانب ذلك ظهرت أمام منظمة الاغذية والزراعة مشكلات على جانب كبير من الأهمية ، الا وهى الأسعار الاستهلاكية ، وعبء الفائض الذى ليس فى استطاعة الشعوب الفقيرة تحقيقه ٠٠ ففى عام ١٩٥٢ بدأ يتراكم المخزون من القمح والحبوب الخام وكان يقدر فى ذلك العام بـ ٣٥ مليون طن ، ولكنه وصل الى رقم خيالى فى عام ١٩٦٠ حيث بلغ ما يزيد على ١٢٥ مليون طن نصفها تقريبا من القمح ٠

أما ما تسمى بالحبوب الخام مثل الشعير والشوفان والذرة وقصب السكر فانها تعتبر مواد غذائيه أساسية للاستهلاك البشرى ، ونظرا لكبر حجم الكميات المتوافرة من هذه المواد فان فى استطاعتها أن تزود ٤٥٠ مليون نسمة بالطاقة الحراريه التى تلزمهم مدة عام بأكمله ، أو فى استطاعتها أن تزود الشعوب الآسيوية بـ ٢٠٠ سعر حرارى يوميا لمدة تزيد على ثلاثة أعوام ٠

وبطبيعة الحـــال فان من الامور التي تعتبر مسيئة ومهينة للمنطق السليم أن يظل هذا المخزون يتراكم ، على حين أن الشعوب مازالت جائعة ولكن مشكلة التوزيع تتحدى النظام الحاضر ٠٠ ان المخزون من المواد الغذائية يشكل نصف صادرات العالم من القمح وأربعة أضعاف صادراته من الحبوب الخام سنويا ، ولكن سوء تصريف مثل هذه الكميات قد يلحق الضرر بطرق التجارة العادية ؛ ويهدد المركز الاقتصادى ، لا بالنسبة للدول المصدرة فحسب ، بل أيضا بالنسبة للدول التى تحصل على هذه الكميات ٠

وزيادة على ذلك ، فان هناك مناطق تفتقر افتقارا شديدا الى المواد الغذائية ، ونظرا لأنها تعتمد فى غذائها الرئيسى على الأرز فانها لاتستطيع أن تأكل القمح أو الحبوب الخام لتمسكها الشديد بعاداتها الغذائية ، وقد حدث هذا فى كثير من الآفات حتى فى المجاعة العصبية ٠

وقد كان من أهداف هيئة التغذية الدولية التوفيق بين هذه العادات عن طريق هيئه التغذية الزراعية ، حتى يمكن تبادل الحبوب بين الدول المختلفة طبقا لعاداتها ٠٠ وزيادة على ذلك ــ من وجهه النظر الغذائيه ــ فاننا نجد أن عملية النهوض الصحى بهذه الشعوب التى تعانى من سوء التغذية تتطلب مواد غنية بالبروتينات لا مختلف الحبوب والغلال ٠

واذا قمنا بدراسة لكمية المخزون من المواد الغذائية فى العالم أجمع فى عام ١٩٦٠ نجد أنه بينما يوجد ١٢٠ مليون طن من فائض الغلال تقدر كمية الفائض من المواد الغذائيه الغنية بالبروتينات بـ ١٢٠ ألف طن بما فى ذلك من اللبن المجفف والمحفوظ والمبستر ، وقد أخذ هذا الفائض يتراكم بكميات هائلة فى شمالى أمريكا ، مما يجعل الدول المتخلفة تعتمد اعتمادا كليا على فائض الدول الأخرى ، الأمر الذى لا يتفق مع الواقع والمنطق السياسى ٠

وكحل طويل المدى ؛ لابد ان تساعد هذه الدول على انتاجها حتى لا تتطلع الى مزيد من هذه المواد الا بالقدر الذى يمكنها من تحقيق التوازن المطلوب ٠

وهناك – كما اقترحنا من قبل – وسيلة أخرى لاستخدام الفائض اذ أنه من الممكن أن تصبح الحبوب نوعا من العملة ؛ فاذا كانت احدى الدول المتخلفة فى حاجة ماسة الى المواد الغذائية ، يكون فى امكان حكومات هذه الدول أن تحصل على هذه المواد فى صورة معونه متبادلة ، على أن تستغل الحكومة ايرادات بيع هذه المواد – سواء أكانت فى صورة منحة أم قرض غير محدود – فى التحسينات الزراعية التى تؤدى الى قدرة الدولة الانتاجية .

وثمة عمليه من هذا النوع تمت بين الولايات المتحدة والهند أدت الى توفير ١٦ مليون طن من القمح والأرز كغذاء اضافى فى الفترة ما بين ١٩٦٠ و ١٩٦٤ .

وبطبيعة الحال ستستمر عملية توزيع فائض المواد الغذائية بحكمة وعلى نطاق واسع ، عن طريق صندوق الطفولة التابع للامم المتحدة .

ومن أبسط الامور التى أسىء تقديرها تحويل جميع المواد الغذائية الى مواد نباتية . ويقول مؤيدو هذه الفكرة ان انتاج المواد الحيوانية لتوفير الغذاء للانسان ماهو الا مضيعة للجهد والمال . ان تسعة اعشار السعرات الحرارية تفقد نتيجة تحويل النباتات الى أنسجة حيوانية ، وحجم الماشية فى العالم أجمع يعادل على الأقل ضعف الجنس البشرى بصفة عامة ، فضلا عن أن هذه الحيوانات المستأنسة تستهلك من المواد الغذائية ما بين خمسة وعشرة أمثال ما يستهلكه الانسان ، انها تأكل أنواعا من النباتات لا نستطيع نحن بنى الانسان أن نأكلها .

وبالنسبة للحيوانات تتحول المواد الغذائية الى أنواع أخرى يستطيع جسم الانسان أن يستغلها أحسن استغلال . ان المواد البروتينية التى تحتوى عليها الأعشاب الجافة تتردد بين ١٠ و ٢٠٪ على حين تتوافر تلك المواد بنسبة ٥٠٪ فما فوق ، فى اللبن والجبن والبيض واللحوم .

وبينما لا تزيد نسبة الدسم فى الأنسجة النباتية عن ٥٪ وفى الغلال بنسبة تعادل نصف هذا الرقم ، نجد انها تتوافر فى الألبان بنسبة تزيد على ٣٠٪ ؛ وفى البيض بنسبة تزيد على ٤٠٪ .

أما فى الجبن واللحوم فتصل هذه النسبة الى ما يزيد على ٥٠٪ و ٧٠٪ على التوالى ، وفيها من الفوائد الغذائية أيضا المواد المعدنية والفيتامينات .. ان النقص الشديد فى كمية هذه المنتجات الحيوانية هو السبب فى كثرة الأمراض .

ان الاجابات لابد أن تكون بعيدة كل البعد عن أى من الاتجاهين السائدين وهما : اما ان نجعل الدول الفقيرة تحصل على ما تريده من مواد غذائية معتمدة فى ذلك على النظم السياسية السائدة فى الدول المتقدمة ، أو أن نتحول جميعا الى أشخاص نباتيين ... لقد استطعنا أن نقلع عن عادة تسلق الاشجار وأصبح الانسان يخوض مرحلة تطور على جانب كبير من الاهمية كحيوان مفكر صانع للآلات .

لقد أخذ الانسان يناضل من أجل التغلب على الحدود التى فرضتها بيئته المحلية ، فمنذ أن أقلع عن عملية صيد الحيوانات وتوفير الأغذية أصبح زارعا يقوم بفلاحه الأرض وأخذ يحاول أن يخضع الطبيعة لمواجهة احتياجاته المتعددة ٠٠ كما أخذ أيضا فى استخدام قواه الجسمانية والعضلية محاولا التغلب على الحدود التى رسمتها له الطبيعة فى هذا المجال ٠

اذن نستطيع القول بأن العالم كان يقاسى على الدوام من كثرة عدد السكان ، اذ أن التناسل طبقا للعمليات الحسابية لا يعنى ان ١ + ١ = ٢ بل يعني أن ١ + ١ = ٤ ، ١٦ .. الخ .

ونظرا لعملية التنافس القائمة بينه وبين غيره من بنى الانسان وغير الانسان ، فقد وجب عليه أن يستخدم ذكاءه فى زيادة الطاقة الانتاجية الكامنة فيما لديه من أراض زراعية ٠٠ وعندما وجد أول من قاموا بفلاحة الأرض أن البذور فى امكانها أن تحقق نموا أفضل عندما تكون الأرض قد حصلت على كفايتها من مياه الرى ، وبدأوا فى حرث الأرض الخصبه التى تحتوى على كمية كبيرة من الطمى وبذلك أمكنهم ادخال الحضارة والمدنية فى البلاد ٠

وقد بدأت الحضارات تأخذ مكانها فى جميع أنحاء العالم ، وأصبحت ذات صبغة أكثر تعقيدا ٠ لقد ازدهرت هذه الحضارات ولكن معظمها قد ذهب من حيث أتى .

ولكن كانت هناك فى الماضى دائما حضارات تحل محل الحضارات الزائلة ، ترث عنها ثقافاتها ، وترتكب الاخطاء التى ارتكبتها .. وهذه الحضارات تنشأ فى المناطق المحدودة جغرافيا ؛ ولكن حضارتنا اليوم ليست مرتبطة (بنهرى دجلة والفرات) ٠ ان العالم الذى يكون مجتمعا مترابطا متداخلا لا يعمل حسابا للفوارق والابعاد ، ولا يستطيع أن يتحمل الفقر القابع فى قلب الرخاء بأية حال ٠

ان هذه المشكلة التى كنا بصدد بحثها تنطبق على العالم أجمع ، ونحن لا نأمل الا أن تظل الشعوب على استعداد لمساعدة بعضها البعض ، على ألا تعتبر المعونه الاقتصادية صورة من صور الصداقة فاذا اعتبرت كذلك فان الحكومات لن تساهم بشىء لانه ليس من المفروض أن تستنفد أموال دافعى الضرائب فى أغراض خيرية ٠٠ ان فى امكانهم أن يفعلوا ذلك فى الظروف التى تشهد حدوث مجاعات ٠ فضلا عن أن صيغة الاعتماد تولد لدى الافراد روح المقاومة ، ان الشعوب ترغب فى المحافظة على احترامها لنفسها ؛ بل وأن تشعر بأن الحرية السياسية - اذا ما توصلت الى تحقيقها - لن تكون بمثـــــابة رهينة فى يد الدول الكبرى التى فى استطاعتها أن تخضعها لنفوذها او تجعلها فديه لها ٠

ان المعونة المتبادلة تتم طبقا لأسس متبادلة ، لقد حققت الدول المتقدمة كثيرا من رخاء الصناعى وثرواتها الحالية لا عن طريق البلاد التى تقوم بتزويدها بالمواد الخام وبالقدر الأكبر من المواد الغذائية نتيجة للثورة الصناعية الأولى ، بل عن طريق الدول التى نطلق عليها اليوم لفظ الدول « المتخلفة » ٠

وجدير بالذكر أن المعونة الخارجية تستطيع فقط مساعدة الدول التي صممت على أن تساعد نفسها ٠٠ وتقع المسئولية الأولى بالنسبة لكل دولة على سرعتها فى تنفيذ عملية تطورها ، وتحقيق المكاسب لشعبها ٠٠ أما المسئولية الثانيه فهى مساعدتها الدول الأخرى وفقا لوسائلها الخاصة. ان أية دولة غنية أو فقيرة لا تستطيع أن تصل الى أعلى مراتب النمو الاقتصادى أو ان تتمكن من اطعام أو استيعاب الأعداد المتزايدة من شعبها دون توسيع نطاق الاقتصاد الدولى .

وكما حاول هذا الكتاب أن يوضح من قبل ، فان توسيع عملية الانتاج الغذائى تعتبر جزءا لا يتجزأ من الشكل الكلى المعقد للنمو الاقتصادى ٠

ومن الضرورى أن تخرج جميع هذه المساعدات عن نطاق السياسة الدولية ، اذ أن الدول حاولت شراء النوايا الطيبة فى مقابل اسباب سياسية أو عسكرية فانها لن تكسب سوى العار ، فضلا عن أن البرامج المتناقضة تؤدى الى احداث حالة من الاضطراب والضياع ٠

ولا يمكن أن يتم هذا التطور بطريقة مفككة أو عن طريق تجاهل الصعوبات الموروثة ٠٠ اننا لا يمكن أن نتظاهر بأن الشعوب فى جميع أنحاء العالم تحتاج الى الأموال والمعدات من أجل تحقيق التقدم المباشر ٠٠ ان الجهل هو أحد عناصر التخلف ، فضلا عن أن الشعوب المعتلة الجائعة لا تتوافر لديهم الطاقة ، الى جانب انها ليست على قدر كبير من المقدرة، وليس فى امكانها أن تتعلم أو تستوعب ، بالسرعه التى تصحب هـذه العملية بالنسبة للشعوب التى تتمتع بصحة جيدة وغذاء وافر ٠٠ لذلك علينا أن نقوم بوضع صرح الاقتصاد المتطور ، ان علينا ان نعرف ماتستطيع الشعوب أن تؤديه من أعمال ؛ وطبيعة الموارد التى تتمتع بها الدول ٠

والصفة العاجلة التى تتميز بها جميع المشروعات هى ضرورة وضع الابحاث التى تؤدى الى اكتشاف موارد هذه الدول ، وتدريب أفراد الشعب على مختلف الحرف ؛ وكيفية قيامهم باستغلال الأنهار والغابات والحقول والثروات المعدنية التى تتمتع بها بلادهم ٠

هذا هو المعنى الحقيقى « للتخلف » انه يعنى النقص فى استغلال الموارد الطبيعية البشرية . ونستطيع القول مرة أخرى بأن هذا الاستغلال لا يمكن أن يتحقق الا عن طريق أطراف أو وكالات ليس لها أية مصلحة فى هذه الدول ، وكذلك الحال بالنسبة للاستثمار ؛ والا فان الدول قد تخشى أن تقوم الدول الأخرى باستغلالها وأن تعتبر المساعدة نوعا من السيطرة السياسيه ٠

وبلغ تعداد سكان البلاد المتخلفة فى العالم أجمع ١٢٥ مليون نسمة وهم موزعون على مئات البلدان فى جميع أنحاء العالم ؛ ويتردد دخل الفرد فى العام بين ٢٥٠ و ٤٠ جنيها ٠٠ واذا أجرينا مقارنة بين هذه الأرقام وبين دخل الفرد فى كل من الولايات المتحدة والمملكة المتحدة فى العام نجد أن متوسط دخل الفرد فى الأولى يصل الى ٧٥٠ جنيها وفى الأخرى الى ٣٠٠ جنيه ، (فى الفترة ما بين ١٩٥٥ ؛ ١٩٥٧) ٠

هذا ولم تكن النتائج التى أسفرت عنها برامج المعونة فى خمسينات القرن العشرين نتائج مؤثرة ·· لقد بلغت قيمة هذه البرامج عشرة آلاف مليون جنيه فى صورة استثمارات خاصة ومنح قروض عامة وقروض دولية · ففى أوائل هذه الفترة دلت الاحصائيات على أن متوسط دخل الفرد فى الدول المتخلفه حوالى ثلاثين جنيها · وقد بدأ الدخل المتأخر فى هذه الدول ينمو بمعدل ٣٪ كل عام ، ولكن نظرا لان عدد الافــراد الذين سوف يحتاجون الى اطعام فى هذه الدول فى نهاية السنوات العشر سوف يبلغ ٢٠٠ مليون فم ، لذلك فان الزيادة بالنسبة لدخل الفرد سوف تصل الى ١٪ فقط أى حوالى ٧ شلنات و٦ بنسات سنويا ·

ومن ذلك نرى أن هذا الوضع لا يدعو الى الأمل أو التفاؤل ، لأن هذه القيمة يمكن أن تحول ــ اذا نظرنا اليها من ناحية الجهل والفقر والمرض ــ الى كتب ومواد طبية وغذائية مما تحتاج اليه شعوب هذه الدول ·

وفى ستينات القرن العشرين ، تقدم مستر « بول هوفمان » المدير العام « لصندوق الامم المتحدة الخاص » باقتراح يقضى بمضاعفة هذه الزيادة فى دخل الفرد ·

ان هوفمان يعتقد أن الدول المتخلفه فى امكانها أن تحقق ارتفاعا فى تجارة الصادرات ، وان تكسب فى غضون عشرة أعوام حوالى ٣٧٨ ألف مليون دولار عن طريق بيع البضائع فى السوق الدولية · ولكن عليها من أجل تحقيق ذلك أن تقوم باستيراد بضائع تصل قيمتها الى حوالى ٤٤٠ ألف مليون دولار ·

بذلك نجد أن هذه الدول سوف تكون فى حاجة الى ٦٢ ألف مليون دولار أخرى قيمة استغلال رأس المال ·· ولتغطية المصروفات الطارئة لابد من استثمار ما يقرب من ٧٠٠٠ مليون دولار سنويا ، أى بزيادة ٣٠٠٠ مليون دولار عما حصلت عليه هذه الدول من أى عام من أعوام خمسينات القرن العشرين ·

ولمواجهة هذه الزيادة ســـنويا (٣٠٠٠ مليون دولار) لا بد أن تزداد عمليات الاستثمار الخاص والقروض المصرفية ، ويمكن عن طريق ذلك سد ⅓ هذه الزيادة

أما الثلثان الباقيان فيمكن تغطيتهما بوسائل أخرى تتمثل فى القروض المريحة التى لاتريد البنوك التقليدية ان تغامر بتقديمها للمســاهمة فى المرافق العـامة والطرق والمواصلات والتعليم والتدريب وتحسين الأحوال الصحية والادارية .

وقد تم وضع اقتراح يقضى بأن تنفذ هذه العمليات عن طريق «هيئة التنمية الدولية» التى سوف تقوم بالاشراف على هذه العمليات وهذه بدورها سوف تؤدى الى نتائج طيبة فى المدى البعيد . وخير تجربة فى هذا المجال هو «مشروع مارشال » ففى بادىء الامر قدرت الاموال اللازمة لاعادة الانتاج الصناعى والزراعى فى غربى أوروبا الى المستوى الذى كان سائدا قبل الحرب بـ ٢٠ ألف مليون دولار . وقد تقدير هذه الاموال مرة أخرى

ووصلت الى ١٧ الف مليون دولار ، ولكن لم يكد يمضى سوى عامين ونصف العام على تنفيذ المشروع حتى حققت الزراعة ارتفاعا يقدر بـ ٢٠٪ عما كانت عليه فى سنوات ما قبل الحرب على حين زاد الانتاج الصناعى بنسبة ٤٠٪ وبذلك بلغت تكاليف عملية انعاش أوروبا ١٣٫٠٠٠ مليون دولار لاغير .

وقد تعرضت عملية تنفيذ « عهد التنمية الدولى » لقدر كبير من التلكؤ . ولم يكن الوقت قد حان بعد لتحقيق الآمال العريضة لهيئة التنمية الدولية . أما برنامج التنمية الفنية ، وصندوق الامم المتحدة الخاص، فقد قاما بتخصيص مبلغ ١٥٠ مليون دولار سنويا فى صورة مساعدات ، أى بمتوسط ٥٠٠٫٠٠٠ دولار لكل دولة من مائة الدول المحتاجة أو بنسبة ٣ بنسات ونصف البنس للفرد الواحد سنويا .

اننا فى حاجة ماسة الى « الصبر » ، فان بعض الأفراد الذين عاصروا المشكلات والجهود المباشرة التى بذلت فى غضون الاعوام الخمسة عشر الماضية ، فقد نفد صبرهم ازاء فشل الهيئات المختلفة فى تقديم المساعدات الكافية ؛ ولكننا فى الوقت نفسه ندرك الحاجة الى أن نتقدم ببطء .

ان مشكلات اطعام العالم الجوعان تعتبر مشكلات متداخلة للغاية . فنجد أن الأموال ضرورية من أجل مساعدة الدول الفقيرة على النمو ؛ ولكن هذه الأموال ليست الا عنصرا واحدا فى هذه العملية المتشعبة . ان الدول المتقدمة التى سوف تقوم بتقديم هذه المساعدات المؤقتة ، لا فى صورة أموال فحسب ، بل أيضا فى صورة معرفة وحرف مختلفة ، لابد أن تقوم بدراسة مشكلات هذه الدول حتى تسفر مساعداتها عن نتائج ملموسة فى عمليه النهوض بشعوب هذه الدول .

وقد أدركت « الجمعية البريطانية للتقدم العلمى » أهميه ذلك ؛ وقامت فى عام ١٩٦٠ بتحقيق مالم تستطع تحقيقه طيلة الـ ١٢٩ سنة التى شهدت وجودها . لقد ركزت كل جهودها العملية فى سبيل بحث مشكلة « الغذاء والسكان » . كما قامت الجمعيه بتشكيل لجنه دائمة للنهوض بالابحاث العلمية وتوجيه التعليمات الخاصة بهذا الموضوع ذى الأهمية القصوى .

وفى شهر يوليو من عام ١٩٦٠ ؛ قام المدير العام لمنظمة الاغذية والزراعة بتوجيه « حمله التحرر من الجوع » التى نفذت فى بريطانيا تحت رعاية دوق أدنبره .. وقد شكلت لجنة برياسة « الايرل دى لاوار » الذى تحمل هو و « بويد أور » فى منتصف ثلاثينات القرن العشرين مسئولية « تزاوج الصحة والزراعه » .

لقد قامت هذه الحملة فى جميع أنحاء العالم بتوفير سبل العلم والمعرفة وتدعيم الابحاث العلمية . وقد شملت الحملة هيئات أخرى الى جانب الهيئات الحكومية ، فقد ضمت رجال العلم والثقافة والعلماء ورجال الصناعة الذين استطاعوا ببعد نظرهم أن يقرروا أن التجارة فى هذه الحالة سوف تتبع علم الأمم المتحدة .. كما ضمت الحملة كذلك مختلف الكنائس والمنظمات الاختيارية .

والى جانب العون المباشر الذى تستطيع هذه الحملة أن تؤديه عن طريق المشروعات ، فان أهميتها القصوى تظهر فى تعليم الاجيال الناشئة التى سوف يبلغ تعدادها فى غضون عشرين عاما ٤٠٠٠ مليون نسمة · ان كل فرد فى جميع أنحاء العالم لابد أن يدرك أن مشكلة الجوع ـ الى جانب خطر الدمار الذرى ـ تعتبرمن المشكلات الجنسيةالتى تتعرض لها فى يومنا هذا ، وقد طغت هذه المشكلة فى أهميتها على الوطنية والامانى والايديولوجيات القومية ·

وللمرةالاولى فى التاريخ أصبحالانسان يملك من النفوذ مايمكنه من التحكم فى عمليه التطور المستمر ؛ وأن فى استطاعته ان يمارس هذا النفوذ عن طريق استخدام التجارب النووية فى القضاء على الجنس البشرى ، أو أن يثبت ـ نتيجه لجهله بمشكلة الجوع ـ ان نظرية « مالتوس » نظرية خاطئة · أن فى استطاعته أن يتطلع الى القمر ، ولكن ليس فى امكانه أن يقوم باحتلاله ·· كما أن فى استطاعته أيضا أن يستخدم ذكاءه وحكمته فى التعاون مع بنى جنسه فى مجالات التنمية السلمية على سطح الأرض ·

ان عمليه الاختيار هذه لا يمكن أن نتركها للاجيال القادمة ·· ان علينا أن نتخذ قراراتنا الآن وعلى وجه السرعه · لقد انقضت مائتا ألف سنة على الانسان حتى استطاع أن يتكاثر ويصل عدده الى ثلاثة آلاف مليون نسمة . وفضلا عن ذلك فان عملية مضاعفة هذا الرقم سوف تستغرق بالمعدل الحالى مايقل عن أربعين عاما .. وسوف يشهد صغار السياسيين اليوم ثورة ديموقراطية قد تؤدى الى قلب وجه السياسة الدوليه رأسا على عقب ·

لقد رأينا التغيير الذى حدث فيما يتعلق بالحركات الوطنية التى أدت الى مضاعفة عدد الدول الاعضاء فى الامم المتحدة منذ أن انعقد أول اجتماع للجمعية العامة عام ١٩٤٦ ؛ ولكن الوضع الاقتصادى سوف يتغير بالطريقة نفسها فى غضون عشرين عاما أخرى .

وليس من المستبعد أن تتحول الدول المانحة اليوم الى دول تتلقى المساعدات فى الغد !! ·

انني أطالب ـ وأرجو أن يكون هذا الكتاب قد أوضح ذلك ـ بتحديد النسل ، والسيطرة على زيادة عدد السكان ؛ ولكننى مقتنع برغم ذلك بأننا لن نتمكن من تعديل أرقام عام ١٩٨٠ ؛ لذلك يتحتم علينا أن نبتكر الوسائل اللازمة لاطعام جميع الشعوب هذه فى غضون عشرين عاما ·· اننا لابد أن نعبىء ما فى العالم من حكمة وعلم ومال وجهد ، من أجل الخروج من هذه الورطـــة ·

ان العلم والخبرة السياسية لابد أن يعملا على وجه السرعة .

تم الكتاب بحمد الله

فهرس

هيئة قناة السويس

حركة البضائع

بلغت كميات البضائع التى عبرت القناة خلال شهر سبتمبر ١٩٦٢ ٠٠٠ر٩٢٥ر١٥ طن مقابل ٠٠٠ر٥٢١ر١٣ طن فى سبتمبر ١٩٦١ مسجلة زيادة قدرها ٠٠٠ر٤٠٤ر٢ طن أى بنسبة قدرها ٨ر١٧٪ .

حركة البضائع من الشمال

زادت كميات البضـائع العابرة من الشـمال الى الجنوب خلال سبتمبر عام ١٩٦٢ بمقدار ٠٠٠ر٣٢٦ طن أى بنسبة١ر١٥٪ (٠٠٠ر٤٩٠ر٢ طن فى سبتمبر ١٩٦٢ مقابل ٠٠٠ر١٦٤ر٢ طن فى سبتمبر ١٩٦١) .

ويرجع ذلك الى زيادة كميـات المـواد البترولية ومعظم البضائع الرئيسية .

وقد سجلت المواد البترولية التى عبرت القناة خلال شهر سبتمبر عام ١٩٦٢ على تلك العابرة فى سبتمبر من العام الماضى زيادة قدرها ٠٠٠ر٢٢١ طن أى بنسـبة ٦٨٪ (٠٠٠ر٥٤٥ طن مقابل ٠٠٠ر٣٢٤ طن) وقد شملت الزيادة جميع أصناف المواد البترولية فيما عدا المازوت التى نقصت كمياته بمقدار ٠٠٠ر١٧ طن (٠٠٠ر٩٥ طن مقابل ٠٠٠ر١١٢ طن) .

وكانت الزيادة فى الاصناف الاخرى كالاتى :

البترول الخام

٠٠٠ر١٦١ طن (٠٠٠ر٢٩٩ طن مقابل ٠٠٠ر١٣٨ طن)

السولار والديزل

٠٠٠ر٤٧ طن (٠٠٠ر٥٨ طن مقابل ٠٠٠ر١١ طن)

البنزين

٠٠٠ر٢٧ طن (٠٠٠ر٤٦ طن مقابل ٠٠٠ر١٩ طن)

الكيروسين

٠٠٠ر٧ طن (٠٠٠ر٤٢ طن مقابل ٠٠٠ر٣٥ طن)

وبالنسبة لمناطق شحن المواد البترولية فقـد صدر الاتحاد السوفيتى ما يعادل ٨٦٪ من تلك المواد ورومانيا ٦٪ .

واستقبلت اليابان ما يعادل ٣٦٪ والجمهورية العربية المتحدة ٣٠٪ والهند ١١٪ .

أما كميات البضائع الاخرى ، عدا المواد البترولية ، فقد زادت بمقدار ١٠٥ر٠٠٠ طن أى بنسبة ٦٪ (١ر٩٤٥ر٠٠٠ طن مقابل ١ر٨٤٠ر٠٠٠ طن) .

وقد سجلت كميات البضائع الرئيسية النسب الآتية زيادة أو نقصا عن مثيلاتها فى سبتمبر ١٩٦١

الحبوب	+	١٠٢٪
الاسمنت	+	٤٨٪
الآلات	+	٢٦٪
السكر	—	٦٤٪
الاسمدة	—	١٤٪
المعادن المصنوعة	—	١١٪

حركة البضائع من الجنوب

سجلت كميات البضائع المارة شمالا خلال شهر سبتمبر عام ١٩٦٢ زيادة قدرها ٢ر٠٧٨ر٠٠٠ طن أى بنسبة ١٨ر٣ ٪ (١٣ر٤٣٥ر٠٠٠ طن فى سبتمبر عام ١٩٦٢ مقابل ١١ر٣٥٧ر٠٠٠ طن فى سبتمبر عام ١٩٦١) .

وترجع هذه الزيادة بصفة رئيسية الى زيادة كميات المواد البترولية والخامات والمعادن وخامات النسيج والسكر .

وقد بلغت كميات المواد البترولية التى عبرت خلال سبتمبر سنة ١٩٦٢ — ١١٤٦٦٠٠٠ طن مقابل ٩٥٢٣٠٠٠ طن فى سبتمبر عام ١٩٦١ بزيادة قدرها ١٩٤٣٠٠٠ طن أى بنسبة ٢٠٪ وتعزى الزيادة الى جميع أنواع المواد البترولية التى زادت بالكميات الآتية:

البترول الخام

١ر٤٩٥ر٠٠٠ طن (١٠ر٢٦٩ر٠٠٠ طن مقابل ٨ر٧٧٤ر٠٠٠ طن)

المازوت

٢٣٦ر٠٠٠ طن (٤٩٥ر٠٠٠ طن مقابل ٢٥٩ر٠٠٠ طن)

السولار والديزل

١٨ر٠٠٠ طن (٢٨٨ر٠٠٠ طن مقابل ٢٧٠ر٠٠٠ طن)

البنزين

١١٩ر٠٠٠ طن (٢١٧ر٠٠٠ طن مقابل ٩٨ر٠٠٠ طن)

الكيروسين

٣٠ر٠٠٠ طن (٦٣ر٠٠٠ طن مقابل ٣٣ر٠٠٠ طن)

وتمثل المواد البترولية نسبة قدرها ٨٥٪ من مجموع كميات البضائع العابرة شمالا بينما كانت هذه النسبة ٨٤٪ فى سبتمبر عام ١٩٦١ .

وبلغ المتوسط اليومى لكميات المواد البترولية فى سبتمبر سنة ١٩٦٢ — ٣٨٢٫٢٢٠ طنا (٢٫٦٧٥٫٥٤٠ برميلا) مقابل ٣١٧٫٤٣٣ طنا (٢٫٢٢٢٫٠٣١ برميلا) فى سبتمبر سنة ١٩٦١ .

وبالنسبة لكميات البضائع الأخرى عدا المواد البترولية فقد زادت عن تلك العابرة فى سبتمبر عام ١٩٦١ بمقدار ١٣٥٫٠٠٠ طن أى بنسبة ٧٫٤٪ (١٫٩٦٩٫٠٠٠ طن مقابل ١٫٨٣٤٫٠٠٠ طن) .

أما كميات البضائع الرئيسية فنوضح فيما يلى نسب الزيادة أو النقص عن مثيلاتها خلال الشهر المقارن :

خامات النسيج	+	٢٦٪
السكر	+	١٨٪
المعادن وخاماتها	+	٥٪
الحبوب	—	٣٩٪
النباتات الزيتية	—	٣٥٪
المطاط	—	٢٨٪

مطابع الدار القومية للطباعة والنشر

مجموعة

اخترنا لك

تصدر

اسبوعية بااللغات العالمية

يشترك فى تحريرها واعدادها

لجنة « اخترنا لك »



المراسلات

الدار القومية للطباعة والنشر

١٥٧ شارع عبيد - روض الفرج

٤٠٥٨٨ - ٤٠٨١٤ ٤٠٧٥٣ - ٤١٠١٢



فهرس

هيئة قناة السويس

حركة البضائع

بلغت كميات البضائع التى عبرت القناة خلال شهر سبتمبر ١٩٦٢ ٠٠٠ر٩٢٥ر١٥ طن مقابل ٠٠٠ر٥٢١ر١٣ طن فى سبتمبر ١٩٦١ مسجلة زيادة قدرها ٠٠٠ر٤٠٤ر٢ طن أى بنسبة قدرها ٨ر١٧٪ .

حركة البضائع من الشمال

زادت كميات البضائع العابرة من الشمال الى الجنوب خلال سبتمبر عام ١٩٦٢ بمقدار ٠٠٠ر٣٢٦ طن أى بنسبة ١ر١٥٪ (٠٠٠ر٤٩٠ر٢ طن فى سبتمبر ١٩٦٢ مقابل ٠٠٠ر١٦٤ر٢ طن فى سبتمبر ١٩٦١) .

ويرجع ذلك الى زيادة كميات المواد البترولية ومعظم البضائع الرئيسية .

وقد سجلت المواد البترولية التى عبرت القناة خلال شهر سبتمبر عام ١٩٦٢ على تلك العابرة فى سبتمبر من العام الماضى زيادة قدرها ٠٠٠ر٢٢١ طن أى بنسبة ٦٨٪ (٠٠٠ر٥٤٥ طن مقابل ٠٠٠ر٣٢٤ طن) وقد شملت الزيادة جميع أصناف المواد البترولية فيما عدا المازوت التى نقصت كمياته بمقدار ٠٠٠ر١٧ طن (٠٠٠ر٩٥ طن مقابل ٠٠٠ر١١٢ طن) .

وكانت الزيادة فى الاصناف الاخرى كالاتى :

البترول الخام

٠٠٠ر١٦١ طن (٠٠٠ر٢٩٩ طن مقابل ٠٠٠ر١٣٨ طن)

السولار والديزل

٠٠٠ر٤٧ طن (٠٠٠ر٥٨ طن مقابل ٠٠٠ر١١ طن)

البنزين

٠٠٠ر٢٧ طن (٠٠٠ر٤٦ طن مقابل ٠٠٠ر١٩ طن)

الكيروسين

٠٠٠ر٧ طن (٠٠٠ر٤٢ طن مقابل ٠٠٠ر٣٥ طن)

وبالنسبة لمناطق شحن المواد البترولية فقد صدر الاتحاد السوفيتى ما يعادل ٨٦٪ من تلك المواد ورومانيا ٦٪ .

واستقبلت اليابان ما يعادل ٣٦٪ والجمهورية العربية المتحدة ٣٠٪ والهند ١١٪ .

أما كميات البضائع الاخرى ، عدا المواد البترولية ، فقد زادت بمقدار ١٠٥ر٠٠٠ طن أى بنسبة ٦٪ (١ر٩٤٥ر٠٠٠ طن مقابل ١ر٨٤٠ر٠٠٠ طن) .

وقد سجلت كميات البضائع الرئيسية النسب الآتية زيادة أو نقصا عن مثيلاتها فى سبتمبر ١٩٦١

الحبوب	+	١٠٢٪
الاسمنت	+	٤٨٪
الآلات	+	٢٦٪
السكر	—	٦٤٪
الاسمدة	—	١٤٪
المعادن المصنوعة	—	١١٪

حركة البضائع من الجنوب

سجلت كميات البضائع المارة شمالا خلال شهر سبتمبر عام ١٩٦٢ زيادة قدرها ٢ر٠٧٨ر٠٠٠ طن أى بنسبة ١٨ر٣ ٪ (١٣ر٤٣٥ر٠٠٠ طن فى سبتمبر عام ١٩٦٢ مقابل ١١ر٣٥٧ر٠٠٠ طن فى سبتمبر عام ١٩٦١) .

وترجع هذه الزيادة بصفة رئيسية الى زيادة كميات المواد البترولية والخامات والمعادن وخامات النسيج والسكر .

وقد بلغت كميات المواد البتروليه التى عبرت خلال سبتمبر سنة ١٩٦٢ ـ ١١٤٦٦٠٠٠ طن مقابل ٩٥٢٣٠٠٠ طن فى سبتمبر عام ١٩٦١ بزيادة قدرها ١٩٤٣٠٠٠ طن أى بنسبة ٢٠٪ وتعزى الزيادة الى جميع أنواع المواد البترولية التى زادت بالكميات الآتية:

البترول الخام

١ر٤٩٥ر٠٠٠ طن (١٠ر٢٦٩ر٠٠٠ طن مقابل ٨ر٧٧٤ر٠٠٠ طن)

المازوت

٢٣٦ر٠٠٠ طن (٤٩٥ر٠٠٠ طن مقابل ٢٥٩ر٠٠٠ طن)

السولار والديزل

١٨ر٠٠٠ طن (٢٨٨ر٠٠٠ طن مقابل ٢٧٠ر٠٠٠ طن)

البنزين

١١٩ر٠٠٠ طن (٢١٧ر٠٠٠ طن مقابل ٩٨ر٠٠٠ طن)

الكيروسين

٣٠ر٠٠٠ طن (٦٣ر٠٠٠ طن مقابل ٣٣ر٠٠٠ طن)

وتمثل المواد البترولية نسبة قدرها ٨٥٪ من مجموع كميات البضائع العابرة شمالا بينما كانت هذه النسبة ٨٤٪ فى سبتمبر عام ١٩٦١ .

وبلغ المتوسط اليومى لكميات المواد البترولية فى سبتمبر سنة ١٩٦٢ ـ ٣٨٢ر٢٢٠ طنا (٢ر٦٧٥ر٥٤٠ برميلا) مقـــابل ٣١٧ر٤٣٣ طنا (٢ر٢٢٢ر٠٣١ برميلا) فى سبتمبر سنة ١٩٦١ .

وبالنسبة لكميات البضائع الأخرى عدا المواد البترولية فقد زادت عن تلك العابرة فى سبتمبر عام ١٩٦١ بمقدار ١٣٥ر٠٠٠ طن أى بنسبة ٧ر٤٪ (١ر٩٦٩ر٠٠٠ طن مقابل ١ر٨٣٤ر٠٠٠ طن) .

أما كميات البضائع الرئيســية فنوضح فيما يلى نســب الزيادة أو النقص عن مثيلاتها خلال الشهر المقارن :

خامات النسيج	+	٢٦٪
السكر	+	١٨٪
المعادن وخاماتها	+	٥ ٪
الحبوب	—	٣٩٪
النباتات الزيتية	—	٣٥٪
المطاط	—	٢٨٪

مطابع الدار القومية للطباعة والنشر

مجموعة

اخترنا لك

تصدر

اسبوعية باللغات العالمية

يشترك فى تحريرها وإعدادها

لجنة " اخترنا لك "



المراسلات

الدار القومية للطباعة والنشر

١٥٧ شارع عبيد - روض الفرج

٤٠٥٨٨ - ٤٠٨١٤ ٤٠٧٥٣ - ٤١٠١٢

